تصفية القلوب في الوصول إلى حضرة علام الغيوب

لابن جزي الغرناطي

دراسة وتحقيق

منير القادري بودشيش

خريج دار الحديث الحسنية

تقديم

أحمد التوفيق

تصفية القلوب في الوصول إلى حضرة علام الغيوب

لابن جزي الغرناطي

دراسة وتحقيق

منير القادري بودشيش

خريج دار الحديث الحسنية

تقديم

أحمد التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء - المغرب

الطبعة الأولى

1998

ردمك 9981.1951.03

إ.ق 836/1998

﴿يوم لا ينفع مال
ولا بنون إلا من أتى الله
بقلب سليم﴾

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لا يتصور إنسان منصف ألا يكون لدين يستحق هذا الاسم أبعاده الروحية. أي أبعاده الصوفية. ولكن قوما من الملل الأخرى غير الإسلام قاموا في دراساتهم منذ أزيد من قرن بتقديم الإسلام على أنه مجرد قواعد لتقنين الحياة المادية الظرفية لمجتمع بدوي بسيط، ليست له روحانية كما للأديان السماوية الكبرى.

ويفوت بعض أهل الإسلام، وإن كانوا يعتقدون أن دينهم أكمل الأديان، يفوتهم بسبب الورع في أحسن الحالات مع قلة الفقه الصحيح أو حتى بسبب غلبة الهوى، أن يدركوا أنهم عندما ينكرون العمل المبارك الذي استنبط الجوانب الروحية من أصول الإسلام بالتأويل المقبول المستمد من التجربة الصادقة، يسيرون في اتجاه الذين يبترون كمال هذا الدين، فلطالما وقع التركيز على البدعة باعتبارها زيادة، ولم يلتفت إلى أن التنقيص قد يأتي بما هو أشنع وأعظم.

فالرقائق الأولى مستساغة للجميع ولطيف كلام الزهاد والوعاظ وأهل الحكمة رصيد يؤسس أخلاقيات الإسلام، ولكن الغوص في بحار التوحيد تختنق به كثير من الأنفاس، ولا يستمرئ كثير من ضيقي الحويصلات التعبير المبني على التأويل للعلاقة بين الأصلين وبين أحوال الصوفية ومقاماتهم ومداركهم.

وهاهو الباحث السيد منير القادري بودشيش يخرج لنا عملا تراثيا يؤصل كل المقامات الصوفية بالاعتماد على القرآن الكريم. فرسالة

أبي القاسم ابن جزي التي حققها. هي بالرغم من صغرها. فتح في هذا المهيع. لأنها تقرب وتجلي ما هو غامض عند أصحاب المصنفات الطوال. بخصوص علاقة المصطلح الذي جرده أهل التصوف باعتمادهم على التجربة من صميم الكتاب والسنة.

ولا ينتهي الأمر عند إثبات هذا التأصيل. لأن نَفَس ابن جزي في هذه الرسالة يوحي بأن عمله دعوة إلى الغوص بالتجربة لإدراك تلك المقامات وتسنم تلك الدرجات.

قدم ابن جزي رسالته في بناء محكم استنبط فيه مقامات التقوى وفضائلها والبواعث عليها ودرجاتها. ويستفاد من مساق الكلام عنده أن التقوى هنا مرادف للتصوف. إنه تيسير وتبسيط يبعث على الطمأنينة. والرجل عودنا هذا التسهيل في مؤلفات أخرى، فهو كما قال المحقق: من المعلمين. وهكذا فأعماله صدقات على المشرئبين بأعناقهم إلى مقامات العلم والإحسان.

وللمحقق نصيب من عمل التيسير. لصاحبه فيه نصيب من التوفيق، لما اهتم بهذه الرسالة اهتماما يظهر منه قصده وانشغاله. ولما عرّف بسياقها وبصاحبها، وحقق على منهج أصحاب الصناعة ما يحتاج إلى تحقيق وعلق على ما يستدعي التعليق، فله جزاء عمله عن العلم. وله بعد المؤلف نصيب من أجر الذين سيستفيدون بحول الله من هذا الكتاب.

أحمد التوفيق

الرباط في 21 محرم 1419 موافق 17-05-1998

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مسبغ النعم ومتمم الفضل ومحيي القلوب وصلى الله على سيدنا محمد النبي المليح صاحب المقام الأعلى واللسان الفصيح وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الجزاء والدين.

أما بعد.

يأتي هذا العمل في إطار إبراز أهمية علم التصوف داخل منظومة العلوم الإسلامية. إذ يشكل أحد مكوناتها الأساسية والمتأمل في الترتيب الصعودي لعناصر العقيدة الإسلامية (إسلام، إيمان وإحسان) يلمس بوضوح أنها تسلسل منطقي وحكمة تربوية تهدف إلى ترسيخ الإحسان في القلوب لينعكس على الجوارح وأعمالها. ويكون الظاهر عنوانا للباطن. في هذا الصدد يقول ابن القيم الجوزية : "إن هذا العلم (أي التصوف) مبني على الإرادة فهي أساسه ومجمع بنائه. وهو مشتمل على تفاصيل أحكام الإرادة وهي حركة القلب. ولهذا سمي (علم الباطن) كما أن علم الفقه يشتمل على تفاصيل أحكام الجوارح ولهذا سموه "علم الظاهر" [1]. ويعتبر التصوف القلب النابض الذي أشاع الصدق في وجدان الأمة. وكان الصوفية هم فقهاء القلوب الذين وضعوا قواعد المعاملة بين الإنسان وخالقه وبين الإنسان وأخيه، على أرض اليقين الراسخ والأخلاق العملية واعتبروا أن الباطن هو ما يتشكل به الظاهر تشكلا صحيحا. فكان مقصدهم دوما في الأشياء جوهرها ولبها قائلين : "المدار على القلب" باعتباره هو الإنسان وارتباط حقيقته من صلاح أو فساد بقلبه وهذا ما يدل عليه الحديث النبوي الشريف :"ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[2]

---

1 - ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ج 2 ص 371، تحقيق محمد حامد الفقيه،دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط ح 1973

2 - صحيح البخاري، ج.1 ص. 30

لقد كان العلماء الذين كرسوا جهودهم للفقه الإسلامي وتدوينه جادين في تحديد الإطار الشكلي للأعمال الشرعية وفي البحث عن أدلتها وأحكامها وبتحديد شروط الوجوب، وشروط الصحة، وافتراض المسائل المستقبلية والإجابة عليها حتى يكون العمل قويما وصحيحا من حيث الشكل، ولكنهم لم يولوا نفس العناية لفقه أعمال القلوب حتى يكون مواكبا للعناية بفقه أعمال الجوارح. وظهرت نتيجة لذلك فئة تعنى بعمل الجوانح والوجدان الروحي تكملة لعمل الجوارح ملتزمين بالكتاب والسنة منهجا وطريقة وتأليفا. وقد تحدث ابن تيمية رحمه الله عن تمسك الصوفية بالكتاب والسنة في الجزء العاشر من مجموع فتاويه، فقال: "وأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشايخ السلف : الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والسري السقطي والجنيد بن محمد وغيرهم من المتقدمين ومثل الشيخ عبد القادر الجيلاني ... وغيرهم من المتأخرين، فهم لا يسوغون للسالك ولو طار في الهواء أو مشى على الماء أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين... وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف وهذا كثير في كلامهم".

ويؤكد الإمام الشعراني ما ذهب إليه ابن تيمية، بقوله إن التصوف هو "زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة"(1) وانطلاقا من هذا المفهوم يمكن اعتبار أن التصوف هو (الإسلام بذوق) مما يعني أن لاشيء في التصوف يخرج عن الشريعة الإسلامية وأنه لا يسمح للصوفي مهما كانت مرتبته الروحية، أن يسقط قاعدة شرعية وإلا صار -زنديقا- وأنه لا يمكن أن تتعارض الحقائق الصوفية مع صريح العبارة الشرعية.

ولقد استرعى اهتمامنا هذا العمل الجليل للفقيه الأصولي والمحدث أبي القاسم ابن جزي أحد كبار علماء المالكية بالأندلس، فعلى الرغم من صغر حجمه فإنه يحمل في طياته دررا غالية، وجواهر نفيسة تبرز ما

(1) الطبقات الكبرى ج 1 ص 4 طبعة القاهرة 1343 هـ

للتصوف من علاقة وطيدة بالكتاب والسنة، وتأصيلا لمقاماته الذوقية الرقيقة.

ومما زاد من اهتمامنا كذلك لإخراج هذا العمل الى الوجود، إبراز جانب طالما خفي عن الكثير من الذين عرفوه فقيها وأصوليا ومفسرا ومحدثا. وها نحن نكتشف فيه أيضا شخصية صوفية زادت التراث الصوفي عمقا وثراء.

ومن المؤكد أن لهذا الكتاب قيمة علمية بارزة تجعله يتبوأ مكانة مرموقة في المكتبة الإسلامية وخصوصا المتعلقة منها بعلم التصوف.

لقد توخى ابن جزي في كتابه "موضوع الدراسة والتحقيق" دقة الألفاظ وإيجاز العبارة ووضوح المعنى ومتانة المبنى، مستندا في عمله التأصيلي لمقامات الصوفية وأحوالهم إلى الكتاب والسنة، وإلى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه. ولقد أجاد في ذلك بأوضح بيان وأتم تفصيل.

إن استلهام المنهج من التصوف يقتضي البحث المتعمق في أصوله وقواعده وتطبيقاته وهذا ما سار عليه ابن جزي في مؤلفه. ومن هنا يمكن اعتبار التصوف النقي لا يزال أرضا خصبة ومعينا لا ينضب، يمكن أن يثمر في العديد من النواحي والمجالات.

ففي التربية والأخلاق هو أقرب للتكوين المتوازن لشخصية هذه الأمة، وفي الحياة الدينية هو الروح التي لو فارقت رسوم الشرع لتركتها ميتة.

إن العمل الذي قام به ابن جزي ليدحض كل دعاوى التشكيك في أصالة وشرعية هذا العلم، وينور البصائر ويصقل العقول ويزيل الأدران، وسيجد فيه القارئ ما يجيب عن تساؤلاته واستفساراته حول هذا العلم في جوهره ومراميه.

ولقد اتبعت في دراسة هذا الكتاب وتحقيقه التقسيم الآتي :

القسم الأول دراسي وقسم ثان تحقيقي.

القسم الأول يشتمل على :

أولا : الحركة الصوفية بالأندلس خلال القرن الثامن الهجري. ولقد ارتأينا ضرورة إدراجها في هذه الدراسة حتى نحدد معالم وخصوصية الحركة الصوفية في هذا القرن الذي عاش فيه ابن جزي نظرا لما عرفته هذه الفترة من ازدهار وخصوبة للفكر الصوفي جعلته يعرف قمة العطاء.

وثانيا : التعريف بابن جزي : اسمه ونسبه ومولده ونشأته وأصله، ومكانته العلمية وشيوخه وتلاميذه ومصنفاته.

وثالثا : توثيق الكتاب.

ورابعا : وصف المخطوط.

وخامسا : بيان منهجية المؤلف.

أما القسم الثاني : فقد قمنا فيه بتوثيق النص وضبطه وتخليصه من كل أشكال التصحيف التي اعترته وأنواع التحريف التي لحقته :

- صياغة النص صياغة جديدة من حيث الشكل كوضع النقط والفواصل ووضع المزدوجتين بالنسبة للآيات القرآنية وتحديد الفقرات.
- بيان موضع الآيات الواردة في النص ونسبتها الى سورها في القرآن الكريم.
- تخريج الأحاديث النبوية الواردة في النص.
- وضع تراجم مختصرة تعرف بالأعلام الواردة في النص.

- تذييل النص بفهارس للآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والمصطلحات الصوفية والموضوعات الواردة في النص.

أتوخى من خلال هذا العمل المتواضع، المساهمة في إبراز التراث الصوفي بالغرب الإسلامي الذي يتميز بالخصوبة والثراء الذي مازال ينتظر من ينفض عنه غبار النسيان والإهمال.

وأتمنى أن يكون هذا العمل استمرارا للجهود الفكرية التي سبقت في هذا المجال تعميما للنفع والإفادة مع العلم أنني لا أدعي الإصابة. فالعبد بالخطأ محفوف وبالنقص معروف والله وحده بالكمال موصوف.

وأود أن يحالف هذا العمل التوفيق والسداد وحسبي أجر الاجتهاد. جعل الله هذا العمل خالصا لوجه الكريم وجعلني للعلم والعلماء خير خديم.

ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر وكبير الامتنان لكل من ساهم في إخراج هذا العمل حتى رأى النور. وأخص بالشكر الأستاذ العلامة المحقق احمد التوفيق على تشجيعه ودعمه وتدليله لكل العقبات التي كانت تعترضني أثناء تحقيقي لهذا الكتاب جزاه الله عنا خير الجزاء ووفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه آمين.

مولاي منير القادري بودشيش

باريس 22 محرم 1419 موافق 19 ماي 1998.

القسم الأول

﴿ دراسة ﴾

أولا – الحركة الصوفية بالأندلس خلال القرن الثامن الهجري

1 – الإشعاع الصوفي في الأندلس خلال القرن الثامن الهجري

لقد عرف الغرب الإسلامي – بما في ذلك بلاد الأندلس– نهضة علمية شاملة. وذلك خلال القرن الثامن الهجري. كما تحقق هنالك ازدهار ديني كبير. كان محوره التصوف الذي شمل جل الشرائح والأوساط الاجتماعية. بمن في ذلك السلاطين والعلماء. وقد انتشرت الزوايا والرباطات وقوي نشاط الشيوخ وازداد عدد المريدين والأتباع. لذلك يمكن الاتفاق مع القائل: إن القرن الثامن الهجري كان عصرا يدفع إلى التصوف.

فما هي سمات ومظاهر الازدهار الصوفي بالأندلس في هذا القرن؟

أكد غير واحد من المؤرخين وجود العدد الوفير من الزوايا والرباطات عبر شتى ربوع بلاد الأندلس. حتى إننا نجد ابن الخطيب يصف معظم المدن الأندلسية التي ذكرها بأنها دار خلوة

---

١ – الخيال والشعر في تصوف الأندلس. د. سليمان العطار. ط.١. دار المعارف القاهرة. ١٩٨١. ص ٤١؛

وعبادة ونسك، فيصف مثلا مدينة مالقة : ب "وفور أولي المعارف والأديان"[1] ويقول في جبل الفتح : "خلوة للعباد ومقام العاكف والباد"[2]. وفي ألمرية : "دار نساك وخلوة اعتكاف وإمساك"[3] ... إلخ.

وفي كتاب "**بغية السالك إلى أشرف المسالك**" يخبرنا محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمان الأنصاري الساحلي، وهو من أهل هذا القرن (ت ٧٥٤) عن أتباع والده الشيخ أبي عبد الله الساحلي بقوله : "وكثر أصحابه في مغارب الأرض ومشارقها، وأصحابه اليوم لا تخلو منهم بلدة ولا حضر ولا قرية في الأندلس، وله أتباع في أكثر بلاد المغرب، وفي أكثر بلاد المشرق وفي أرض الحجاز، والحرمين والشام، وغير ذلك من الأمصار"[4].

ومن مظاهر الإشعاع الصوفي بالأندلس في القرن الثامن الهجري، انتشار بعض الظواهر الدينية ذات الطابع الاجتماعي والتربوي مع مساهمة كبيرة لكثير من السلاطين في ممارستها والتشجيع على استمرار الاهتمام بها. وأهم تلك الظواهر : الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف، وكان المشارقة قد درجوا على الاحتفاء والفرح به، فانتقل ذلك إلى المغرب على يد أبي

---

[1] - معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار، ابن الخطيب تحقيق شبانة محمد كمال، المحمدية، ١٩٧٦، ص. ٨٩

[2] - المصدر نفسه، ص. ٧١.

[3] - المصدر نفسه، ص. ١٠٠.

[4] - بغية السالك إلى أشرف المسالك، مخطوطة بالخزانة الحسنية، الرباط، رقم ٢٦٢.

العباس العزفي، حيث صار الاحتفال بذكرى المولد النبوي عيدا رسميا في كل البلاد على أيدي السلاطين المرينيين ثم انتقل ذلك إلى الأندلس، وأصبح سلاطين بني الأحمر يحتفلون به، اقتداء بملوك بني مرين. فكيف كان يتم ذلك ؟

كان الاحتفال يستمر أياما حافلة بتلاوة القرآن الكريم وإنشاد القصائد المدحية (المولديات) [١]، وإطعام الطعام وإظهار البهجة والسرور، شكرا لله تعالى وحمدا له على أفضل نعمه. والواقع أن الاحتفال بذكرى المولد، لم يكن مقتصرا على الصوفية وحدهم، لكنهم قاموا بدور كبير في تشجيعه ومواصلة الاعتناء به، حتى صار مرتبطا بهم أكثر من غيرهم، وقد ساهم أيضا كثير من السلاطين في إقامة هاته الاحتفالات وتمويلها، ذلك لأن التصوف لم يبق منحصرا في القرن الثامن الهجري في شريحة اجتماعية معينة، أو في طوائف دينية منعزلة، بل نجد المد الصوفي قد طال كل الشرائح والطبقات الاجتماعية، مما أدى إلى تسريبه إلى البلاطات السلطانية نفسها.

وهكذا انتقل التصوف في هذا العصر إلى بعض ملوك بني الأحمر الذين أخذوا يتبركون بالصالحين ويوقرونهم، فمحمد بن محمد بن محمد، ثالث ملوك بني الأحمر "عني بالصالحين، واختص بأبي محمد المرجاني... وظهرت عليه بركته وكان يرتبط

---

[١] - نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ابن الخطيب، تحقيق د. فاغية السعدية ج.٣، ص. ٢٧٧، مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٨٩.

إليه. ويقف في الأمور عنده"[1]. وتنقل لنا كتب التاريخ أن أبا الحجاج يوسف الأول ابن الأحمر، وابنه الغني بالله، عرفا بعنايتهما البارزة بالتصوف. وقد قال ابن الخطيب عن السلطان أبي الحجاج[2]: "إذ تشيع رحمه الله للصوفية والفقراء، وأحضرهم مجالسه. وأظهر الميل إليهم. وأمر بالنظم في طريقهم"، وكلف بعضهم بتأليف مصنفات في شرح القوم"[3]. كما درج هذا السلطان على الاحتفال بالمولد النبوي الشريف. أما الغني بالله فقد اقتفى أثر والده. فكان يخصص للمولد النبوي احتفالا عظيما. يقصده كل الناس. ويستدعي إليه الصوفية والفقراء ويكرمهم. وذلك من أجل تلاوة القرآن الكريم وأداء الأذكار والأمداح النبوية حتى مطلع الفجر. وقد وصف لسان الدين ابن الخطيب هذه الاحتفالات وصفا دقيقا في الجزء الثالث من كتابه الشهير **نفاضة الجراب**[4] حيث ذكر أن الشعراء يتبارون هذه الليلة في نظم قصائد المدح النبوي. وهي أشعار اتسمت بالطابع الصوفي الواضح. كقول ابن الخطيب نفسه :

يا نسيم الصبا على الأوراق ❖ لدغت مهجتي فهل من راقي
شاهد الحق حاضر ليس يخفى ❖ وجهه والحديث عذب المساق
قد خلعنا نعالنا وافترشنا ❖ حضرة الجمع والحبيب الساقي

---

[1] - الإحاطة. ابن الخطيب تحقيق عبد الله عنان ط ٢ - ١٩٧٧ القاهرة ج ١. ص ٤٤٥
[2] - الصيب والجهام والماضي والكهام. لابن الخطيب. تحقيق د. محمد مفتاح بلقرواني. دار الآفاق للنشر والتوزيع. الدارالبيضاء. ١٩٨٩. ج ١. ص ١٩١
[3] - الإحاطة. ج ٣. ص ٢٣٦
[4] - نفاضة الجراب. ج ٣. ص ٢١٣، وانظر كذلك: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانة الوليفة ص ١٣٤

وفي عهد السلطان أبي الحجاج يوسف النصري، نظم أبو محمد عبد الله بن جزي[1] قصيدة كبيرة في مدح النبي عليه الصلاة والسلام، وجاء في مطلعها :

سنى الليلة الغراء وافتك بالبشرى ❖ وأبدى بها وجه القبول لك البشرى
تهلل وجه الكون من طرب بها ❖ وأشرقت الدنيا بغرتها الغرا
لها المنة العظمى بميلاد أحمد ❖ لها الرتبة العليا لها العزة الكبرى
طوى سره في صدره الدهر مدة ❖ فوافى ربيعا ناشرا ذلك السرا[2]

2 – الدور الجهادي والتربوي للزوايا والرباطات

برز عدد كبير من مشايخ التربية الصوفية بالأندلس وتجردوا لمهام الإشراف على تلقين الأذكار والتوجيه والإرشاد. وقد ذكر ابن الخطيب في كتابيه **الإحاطة** و**الكتيبة الكامنة** عددا منهم. ومن أكبرهم : أبو عبد الله الطنجالي، وأبو الحسن فضل بن فضيلة المعافري، وابن أبي المجد الرعيني، وأبو علي ابن تَادْرَرْتْ، وأبو البركات حيان بن عبد العزيز، وأبو جعفر بن

---

[1] – أحد أبناء أبي القاسم ابن جزي.

[2] – انظر هذه القصيدة كاملة في الإحاطة، ج.٣، ص.٣٩٥-٣٩٧.

الزيات، وأبو الحسن بن المحروق، وأبو عبد الله الساحلي، وغيرهم.

لم تكن المدارس التعليمية تقتصر على التعليم فقط، ولم تكن مراكز علم فحسب، بل كانت تتخذ كذلك كأماكن للعبادة ولإصلاح الأحوال النفسية، ولذلك كانت هاته المؤسسات تأوي عددا جما من المريدين والمشايخ الذين انقطعوا للشؤون الدينية والتربوية، مثلما حصل لأبي عبد الله المقري الصوفي الشهير، وهو شيخ ابن الخطيب، فقد انتقل من المغرب إلى الأندلس في سفارة لأبي عنان لدى ابن الأحمر، فلما قضاها، اعتكف في إحدى المدارس متفرغا للذكر والتعبد[١].

فالزوايا والرباطات كانت لها أدوار متنوعة، بعضها ديني وروحي، يظهر في ممارسات التربية الصوفية، وإخلاص العبادة لله، وكان لبعضها الآخر أدوار جهادية، لأن الزوايا الصوفية في الأندلس والمغرب والمشرق كانت تضطلع بمهام جسيمة في أعمال الجهاد، وتجهيز الجنود حتى صارت الزاوية أو الرباط رمزا للتصوف ورمزا للجهاد في آن واحد[٢]، لأنها تساهم في تموين المجاهدين واستنفارهم وتحريضهم على الجهاد ومحاربة أعداء الإسلام، وقد أثنى ابن الخطيب بقوة على مشايخ التصوف الذين حضوا على الجهاد مثل غالب بن حسن الخزاعي، وعلي بن

---

١ - كناسة الدكان، ص.١٥٩.

٢ - تاريخ التصوف الإسلامي، د. عبد الرحمان بدوي، ط.٢، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٨، ص.٢٦.

جعفر بن أحمد الخزاعي، كما انتقد الذين يدعون الانتساب للتصوف لأنهم بقوا منعزلين عن الحياة الاجتماعية، ومتقاعسين عن الجهاد والعمل[١].

وفي غمرة هذا الازدهار الصوفي، تشبع الناس بتوقير آل البيت ومحبتهم، حيث اعتنى بهم سلاطين بني الأحمر وأكرموهم، وشاع توقير الأولياء والصالحين والتماس الخير والبركات والنفحات في رحابهم[٢]. ونظرا لهاته المكانة الأخلاقية التي حظي بها رجال التصوف في النفوس، فقد كانت تسند إليهم بعض المهام الجسيمة في الحياة الاجتماعية والدبلوماسية، ومن ذلك أن السلطان أبا الحجاج يوسف الأول بن الأحمر كان يعظم الرجال الصالحين ويستعملهم في السفارة وفي المساعي لإصلاح ذات البين بين الأفراد والجماعات[٣]. وكان الغني بالله يستدعي بعض الصوفية المغاربة للإقامة بالأندلس تبركا بهم، وتيمنا بقربهم، وأحيانا كان يجعلهم سفراء إلى الملوك ويرسلهم في المهمات، مثل إرسال أبي الحسن بن المحروق، شيخ الصوفية الذي بعثه إلى المغرب طلبا للمساعدة في الجهاد ضد النصارى المعتدين[٤]، ومثل

---

١ - الزواجر والعظات، لابن الخطيب، تحقيق : محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة، المحمدية، ص.١٧٧-١٨١.

٢ - ريحانة الكتاب، ابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، ج.١، ص.١٧٩-١٦٤-٣٣٩-٣٩٣، المطبعة العربية الحديثة القاهرة ١٩٨٠.

٣ - أوصاف الناس في التواريخ والصلات لابن الخطيب، تحقيق محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة، المحمدية ١٩٧٧، ص.١١٥.

٤ - ريحانة الكتاب، ج.٢، ص.٦١.

أبي عبد الله الساحلي المالقي الذي كان يرسله السلطان المذكور في السفارة لإصلاح ذات البين بينه وبين ملوك المغرب[1]. والأمثلة عديدة على مدى الحضور البارز والفعال لكثير من الصوفية في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والجهادية دون تقاعس أو انزواء.

بل حتى اللغة الصوفية نفسها صار لها انتشار قوي. وظهور جلي في لغة تخاطب الملوك فيما بينهم، كقول الغني بالله في مخاطبة صاحب تونس : "ولا تنكر على الغمام بارقة. ولا على المحققين بمقام التوحيد كرامة خارقة"[2]، وقوله أيضا في مخاطبة السلطان أبي عنان : "فإن بابكم غني من طبقات أولي الكمال [....] والصلحاء أولي المقامات والأحوال"[3].

3 - إسهام العلماء الأعلام في هذا الازدهار الصوفي

نظرا لهذا الإشعاع الإسلامي الصوفي في القرن الثامن الهجري، ذوقا وعلما وسلوكا، فقد ساهم العلماء الأعلام في هذا الازدهار الصوفي، حيث كان لأغلب العلماء ثقافة ذات طابع موسوعي، فنجد الأديب طبيبا وفيلسوفا ورياضيا وفلكيا وفقيها. وبما أن

[1] - أوصاف الناس. ص.١١٥.

[2] - الريحانة. ج.١. ص.١٧٩.

[3] - كناسة الدكان. ص.١٥٩.

التصوف صار في القرن الثامن الهجري من العلوم المدرسة. فقد ازداد اهتمام العلماء به أكثر مما كان عليه. حتى أصبح يحتل مكانة بارزة بين منظومة العلوم الإسلامية.

وقد عبر ابن الأحمر عن هذا الاهتمام المتزايد بعبارة دقيقة أوردها عند ذكر مؤلفات ابن الخطيب حيث قال: "وله الأوضاع المصنفات [...] منها في التصوف الذي أكثر أهل الحقائق إليه نظر التشوف..."[1]. وهكذا وجدنا عددا من العلماء الأعلام يشاركون بفعالية في هذا المجال التربوي الصوفي. إما عن تجربة وممارسة فعلية أو عن رغبة أكيدة في ازدهار هذا العلم الإسلامي مثل باقي العلوم. فابن خلدون ألف كتابا في التصوف سماه **شفاء السائل بتهذيب المسائل**. وخصص في مقدمته فصلا مطولا للتصوف. ولسان الدين ابن الخطيب ألف في الموضوع كتابه الشهير **روضة التعريف بالحب الشريف**. ورسائل أخرى تفوق العشرة. وذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم لبس خرقة التصوف. وأخذ عن عدد من المشايخ[2]. وابنه الوزير الكاتب أبو بكر بن الحكيم أخذ كذلك التصوف عن شيوخه وألف كتبا كثيرة فيه[3] وكان أبو الحسن بن الجياب مشاركا في التصوف مراقبا لربه. وأخذ عن جمع من الصوفية.[4] وأبو البركات البلفيقي أخذ

---

[1] - نثير فرائد الجمان لأبي الوليد اسماعيل بن الأحمر. تحقيق محمد رضوان الداية. دارالثقافة بيروت ص.٢٤٤.

[2] - الإحاطة. ج.٢. ص.٤٤٩.

[3] - المصدر نفسه. ج.٢. ص.٢٧٤.

[4] - المصدر نفسه. ج.٤. ص.١٢٥.

التصوف وألف فيه[1]، وابن بطوطة أخذ العهد على بعض شيوخ الصوفية، بل إن رحلته الشهيرة التي قام بها: "كانت على رسم الصوفية زيا وسحية"[2] ومحمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بابن السراج، طبيب الدار السلطانية، أخذ التصوف عن أبي عبد الله التونسي، وقد برع فيه، وألف كتابا في كراماته[3]، ... وغيرهم كثير من العلماء ورجالات الفكر الذين كانوا يمثلون النخبة المثقفة في العصر الوسيط، في الأندلس والمغرب. وفي هذا الإطار تأتي هاته المساهمة الفعالة للعلامة الشهير والصوفي الخبير ابن جزي، مؤلف هذا الكتاب.

يعتبر ابن جزي أحد أعلام الشريعة الإسلامية ونوابغها. قدم للمجتمع الأندلسي خاصة، وللأمة الإسلامية عامة مشروعا علميا متكاملا جاعلا من علم التصوف جوهرة هذا العقد الفريد، مؤكدا بذلك أن هذا العلم يعتبر من العلوم الإسلامية الأساسية، والتي لامناص منها لأي مجتمع إسلامي من أجل إصلاح النفس البشرية وتخليصها من الآفات والمعوقات وعلاجها من العلل والمضرات، وتبيان أساليب وطرق تحققها وتحليها بصفات العبودية الخالصة لله تعالى، مع كامل الالتزام بحدود الشريعة الإسلامية الغراء. وقد قام أبو القاسم بن جزي في هذا المخطوط بتأصيل قرآني وحديثي سليم ومتين للمقامات الصوفية مع توضيح

[1] - أزهار الرياض في أخبار عياض للمقري، ط لجنة مشتركة لنشر التراث الاسلامي ج.٤ ص.١٠١

[2] - الإحاطة، ج.٣، ص.١٣٤.

[3] - المصدر نفسه، ج.٣، ص.١٦٠.

معانيها، وتجلية غوامضها، وتبسيط مصطلحها، وتنقيتها من الشوائب الباطلة، وتنقيحها من التأويلات المنحرفة. فأقام لنا بذلك علما صوفيا سنيا، سليم المنهج والموضوعات، متين البنيان ودقيق العبارات، وجليل الأذواق وناضج الثمرات.

ثانيا - التعريف بابن جزي

1 - نسبه[1]

هو محمد بن أحمد [بن محمد أحمد][2] بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمان بن يوسف بن جزي الكلبي[3] نسبة إلى كلب بن وبرة. بطن من قضاعة. من القحطانية[4]. يكنى أبا القاسم. من أهل غرناطة. وبنو جزي أسرة مشهورة من الأسر التي كان لها ظهور في دولة غرناطة في القرن الثامن على الخصوص. وتعود شهرتهم في غرناطة[5] إلى نبوغ عدد من رجالاتهم في علوم الشريعة وفنون الأدب المختلفة. ولاصطناع السلاطين النصريين لهم في

---

[1] - شجرة النورالزكية : ص.١٢٣.
- الديباج المذهب : ابن فرحون. ج.٢. ص.٢٧٤. دار التراث القاهرة.
- أزهار الرياض : المقري التلمساني. ج.٣. ص.١٨٥. ط. لجنة مشتركة لنشر التراث الإسلامي.
- الكتيبة الكامنة : لسان الدين بن الخطيب. ص.٤٦. دار الثقافة مطبعة عيتاني الجديدة. بيروت.
- الدرر الكامنة : ابن حجر العسقلاني. ص.٣٥٦ دار الجيل. بيروت.
- درة الحجال : لابن القاضي مطبعة دار التراث ١٣٩٠ تحقيق محمد الأحمدي ابوالنور ص.١٤٤.
- الإحاطة : لسان الدين بن الخطيب. ج.٢. ص.٦٥١. مكتبة الخانجي القاهرة. ط.٢.
- طبقات المفسرين : شمس الدين الداودي. ج.٢. ص.٨١. مكتبة وهبة مركز التراث بدار الكتاب.

[2] - الديباج المذهب : ج.٢. ص.٨٤.

[3] - الدرر الكامنة : ص.٣٥٦.

[4] - جمهرة أنساب العرب : ابن حزم. ٤٥٥.
- الاشتقاق : للسمعاني. ج.١١. ص.١٣٢. دار الكتب العلمية. ط.١.

[5] - أعلام المغرب والأندلس أو نثير الجمان لابي الوليد اسماعيل بن الأحمر ص.١٦٥.

خطط الكتابة والقضاء والخطابة وقد ذكر المقري في **أزهار الرياض** "وأن أصل سلفه من" ولبه"[١] حصن من حصون البراجلة بالأندلس نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريبهم الخطار حسام بن ضرار الكلبي. وعند خلع دعوة المرابطين كان لجدهم يحيى بمدينة جيان[٢] رياسة.

2 – مولده ونشأته

ولد أبو القاسم بن جزي يوم الخميس التاسع لربيع الثاني[٣]، من عام ثلاثة وتسعين وستمائة ٦٩٣ هـ موافق ١٢٩٤ م، في بيت عرف بالأصالة والنباهة، ونشأ نشأة دينية. ولسنا نعرف شيئا عن مراحل تلقيه العلم. فلم يذكر المترجمون شيئا عن رحلاته العلمية، ولكن يفهم من ترجمة بعض مشايخه أنه انتقل لطلب العلم داخل الأندلس، فكرع من معين شيوخها، وارتشف من

---

[١] – ويرى الاستاذ محمد فركوس في دراسته لابن جزي في كتاب **تقريب الوصول إلى علم الأصول** وجود اشكال يتعلق بأصل فرعه ذلك أن ولبه : من حصون البراجلة تقع في جنوب غرناطة في حين نجد أن ثغر "ولبة" يقع جنوب غربي اشبيلية كذلك فإن الأقرب (الصواب حصن ولبه)

– **تقريب الوصول إلى علم الأصول** لابن جزي الغرناطي. ص.١٤-١٣. دار الأقصى. ط ١٩٩٠.

– **أزهار الرياض** : ج.٣. ص.١٨٥.

– **نفح الطيب** : المقري، ج.٥. ص.٥١٤. دار صادر بيروت. ١٩٦٨.

[٢] – جيان بالفتح ثم التشديد وآخره نون : تقع في قلب الأندلس. **الروض المعطار** للحميري. ص ١٨٣. مكتبة لبنان. بيروت.

[٣] – ولقد وهم الأستاذ محمد فركوس في اليوم والشهر الذي ولد فيه ابن جزي فذكر مولده كان يوم التاسع عشر من ربيع الثاني في حين أن المصدر الذي اعتمده وهو **أزهار الرياض** (ج.٣. ص.١٨٧) يؤكد مابيناه في موضعه.

رحيق أساتذتها، وأبلى البلاء الحسن في التحصيل والإتقان لشتى علوم عصره.

3 – شيوخه

تتلمذ ابن جزي على جمع كبير من العلماء والشيوخ من أشهرهم :

أ – محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمي المكي، من أهل بلش، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الكماد. كان من جلة صدور الفضلاء زهدا وقناعة، إماما مشهورا في القراءات، يرحل إليه، محدثا ثبتا فقيها. إنه المتفنن في علوم شتى والعالم العمدة، أعرف الناس بعقد الشروط. رحل إلى العدوة وتجول في بلاد الأندلس، فأخذ عن كثير من الأعلام، وتصدر للإقراء بغرناطة، وتخرج بين يديه جلة وافرة من العلماء والطلبة وانتفعوا به. وله تأليف، واختصر كتاب **المقنع في القراءات** اختصارا بديعا سماه **الممتع في تهذيب المقنع**. توفي سنة ٧١٢ هـ[1].

ب – محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن رشيد الفهري[2]، من أهل سبتة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن رشيد، الخطيب

---

[1] – الديباج المذهب : ابن فرحون، ج.٢، ص.٢٧٩، – الدرر الكامنة : ص.٣١٦. – درة الحجال : ج.٢، ص.١٠٥. – الإحاطة : ج.٣، ص.٦٠ وما بعدها. – شجرة النور الزكية : ص.١١٣.

[2] – الديباج المذهب : ج.٢، ص.١٩٧.
– شجرة النور الزكية : ج.١، ص.٢١٦.
– أزهار الرياض : ج.٢، ص.٣٤٧.
– درة الحجال : ج.٢، ص.٩٦.
– جذوة المقتبس : ص.١٠٨.

المحدث المتبحر في علوم الرواية والإسناد. كان رحمه الله فريد عصره، تام العناية بصناعة الحديث، ذاكرا للرجال، متضلعا في العربية واللغات والعروض، فقيها ذاكرا للتفسير، ريان في الأدب، عارفا بالقراءات. قدم غرناطة في عام ٦٩٢ هـ، فعقد مجالس للخاص والعام يقرئ بها فنونا من العلم، وتقدم خطيبا وإماما بالمسجد الأعظم، توفي بمدينة فاس في شهر المحرم سنة ٩٢١ هـ ومولده بسبتة عام ٦٥٧ هـ.

ومن تآليفه :

- **السنن الأبين في السند المعنعن**[1]
- **إحكام التأسيس في أحكام التجنيس.**
- **شرح كتاب في القوافي**، لشيخه أبي الحسن حازم القرطاجني.

ج – **القاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط الأنصاري**، نزيل سبتة، يكنى أبا القاسم. قال: والشاط اسم لجدي، وكان طوالا، فجرى عليه هذا الاسم. كان رحمه الله تعالى نسيج وحده في أصالة النظر ونفوذ الفكر وجودة القريحة وعلو الهمة والاقتصار على الآداب السنية، متفننا في الفقه والأصول والعربية والفرائض والعلوم العقلية. أخذ عنه الكثير من أهل الأندلس، له تآليف منها: **أنوار البروق في تعقيب مسائل القواعد والفروق في الأصول** و**غنية الرائض في علم الفرائض** و **تحرير الجواب في توفير الثواب**.

---

[1] – وهو مطبوع متداول بتحقيق د. محمد الحبيب بن خوجة، طبع الدار التونسية للنشر، ١٩٧٧.

وكان مجلسه مألوفا للصدور من الطلبة والنبلاء من العامة. مولده في عام ٦٤٣ هـ بمدينة سبتة. وتوفي بها سنة ٧٢٣ هـ. رحمة الله عليه.

ر – أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي. يكنى أبا جعفر. كان خاتمة المحدثين. وصدور العلماء والمقرئين. كثير الخشوع. شديدا على أهل البدع. ملازما للسنة. معظما عند العامة والخاصة. إليه انتهت الرئاسة بالأندلس في صناعة العربية. وتجويد القرآن ورواية الحديث. له تآليف حسنة. منها صلة الصلة والبشكوالية و ملاك التأويل في متشابه اللفظ من التنزيل و البرهان في ترتيب سور القرآن. و سبيل الإرشاد في فضل الجهاد و شرح الإشارة للباجي. في أصول الفقه.

أخذ عنه كثير من العلماء. منهم أبو البركات محمد بن محمد المعروف بابن الحاج. وأبو حيان بن يوسف الغرناطي. وأخذ عنه ابن جزي العربية والفقه والحديث والقرآن[٢]. توفي رحمه الله بغرناطة. ودفن بها سنة ٧٠٨ هـ.

- الديباج ج ٢. ص ١٥٢
- شجرة النور الزكية ج ١. ص ٢١١
- الديباج ج ١. ص ١٨٨.
- الإحاطة ج ١. ص ١٩٥
- الدرر الكامنة ج ١. ص ٨٤
- شجرة النور الزكية ج ١. ص ٢١٢
- درة الحجال ج ١. ص ١١
- شذرات الذهب لابن العماد ط ١٩٩٠ بيروت لبنان ج ٦. ص ١٦
- معجم المؤلفين لرضا كحالة ج ٢. ص ١٢. مكتبة المثنى ودار التراث العربي - بيروت

هـ – القاضي أبو جعفر أحمد بن برطـال[1] ولي قضـاء الجماعـة بغرناطة والخطبة. كـان مرضـي السـيرة، مسـتقيم الطريقـة. تـوفي بمالقة أيام الطاعون الكبير، وذلك في منتصف ليلة الجمعة خامس صفر من عام ٧٥٠ هـ.

و – أبو عبد الله محمد بن محمد الطنجالي[2]. أحد أماثل قطره وذوي الأصالة والجلالة من أهله. تقدم قاضيا ببلـده مالقـة، وقـد هرع الناس إليه عام ٨٥٠ هـ بأموالهم وقلدوه تفريق صدقاتهم. وهو ولي فاضل. أخذ عن أبي عمرو بن حوط الله والقـاضي أبـي علـي بن أبي الأحوص. توفي رحمه الله صدر عام ٧٥٣ هـ.

4 – تلاميذه

لقد تتملذ على أبي القاسم بن جزي خلـق كثـير، ممـن كـانوا يحضرون مجالسه التي عقدت للتدريس، إلا أن كتب التراجم لم تحتفظ لنا إلا بأسماء القليل منهم، ومن هؤلاء أبناؤه الثلاثة :

أ – أبو بكر أحمد بن أبي القاسم محمد بن جزي، كان مـن أهـل الفضل والنباهة والنزاهة، له مشاركة حسنة في فنون من فقه

[1] – تاريخ قضاة الأندلس : الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي. ص.١٤٨، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.

[2] – المصدر نفسه، ص.١٥٥.

وعربية وأدب ورواية وحفظ وشعر جيد. قرأ على والده أبي القاسم وتفقه به، وقرأ على غيره من معاصري أبيه، وولي القضاء، وتولى الكتابة السلطانية وقضاء الجماعة بغرناطة، والخطابة بجامعها، وله تقييد في الفقه على كتاب والده المسمى **بالقوانين الفقهية**، ورجز في الفرائض يتضمن العمل[1]. مولده سنة ٧١٥ هـ ووفاته سنة ٧٨٥ هـ، موافق ١٣٨٣م.

ب – أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم بن جزي الكلبي رحمه الله، حافظ قائم على العربية، شارك في فنون لسانية، قعد للإقراء بغرناطة، ثم تقدم للقضاء، وأخذ عن والده أشياء كثيرة، له كعب معلى في نظم الشعر. ومن مؤلفاته **مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال واستدراك ما فاته من المقال**[2] وشعر نبيل الأغراض حسن المقاصد. لم يذكر تاريخ وفاته[3].

---

[1] – **الديباج** : ج.١. ص.١٨٨.

– **الإحاطة** : ج.٣، ص.١٦٣.

– **الكتيبة الكامنة** : ص.١٣٨.

– **أزهار الرياض**. ج.٣. ص.١٨٧.

– **شجرة النور الزكية** : ج.١، ص.٢٢٣.

– **درة الحجال** : ج.١. ص.١٣.

– **معجم المؤلفين** لرضا كحالة ج.٢. ص.٧٢. مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي. بيروت.

[2] – وهو كتاب مطبوع تحت عنوان "**كتاب الخيل**" حققه محمد العربي الخطابي، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ١٩٨٦.

[3] – **الكتيبة الكامنة** : ص.٩٦، الآحاطة ج.٣. ص.٣٩٢.

– **نفح الطيب** : ج.٥، ص.٥٣٩.

ج – أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن جزي، **جامع** رحلة بن بطوطة، أخذ عن والده، وله باع في المنظوم والمنثور، كان عالما بالأصول، بصيرا بالحديث، قيل وفاته سنة ٧٥٨ هـ، ورجح المقري أن وفاته سنة ٧٥٧ هـ. قال في **نفح الطيب** إن وفاته آخر شوال من السنة قبلها أي قبل ٧٥٨ حسب ما ألفيته بخط بعض أكابر الثقات بداره من البيضاء، وهي فاس الجديدة. قرب مغرب يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شوال عام سبعة وخمسين وسبعمائة. وكان مولده عام ٧٢١ هـ[١]. وقد تعرض لمحنة أيام أبي الحجاج يوسف النصري الذي أمر بضربه بالسياط.

د – لسان الدين ابن الخطيب، هو الوزير المشهور الكبير الذائع الصيت في المغرب والمشرق، والذي خدمته السيوف والأقلام، كان مولده في الخامس والعشرين في رجب عام ٧١٣ هـ. نشأ على حلة حسنة سالكا سبيل أسلافه، فقرأ القرآن على الصالح أبي عبد الله بن عبد المولى العواد وقرأ على ابن جزي. ألف نحو ستين كتابا في فنون العلم، منها : **الكتيبة الكامنة والإحاطة و حمل الجمهور على سنن المشهور وألفية في الأصول والبيطرة في محاسن الخيل و جزء في الطب**. وكانت وفاته سنة ٧٧٩هـ شهيدا بفاس[٢].

---

١ – نفح الطيب. ج.٥. ص.٥٢٦.

– أزهار الرياض. ج.١. ص ١٨٩ . شجرة النور الزكية . ص.٢١٣.

٢ – ازدهار الرياض ج.١ ص.١٨٧ .

– نفح الطيب . ج.٥ ص.٧

– الإعلام للزركلي . ج.٧. ص.١٦.

هـ - أبو عبد الله محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بالشديد، من أهل الطلب والذكاء، قرأ على ابن جزي وأبي البركات[1].

5 - آثاره العلمية

لقد خلف الإمام ابن جزي تراثا علميا رصينا، يدل على علو كعبه في التأليف والتدوين في فنون متنوعة، وعلوم شتى. قال عنه ابن الخطيب: "كان جماعة للكتب ملوكي الخزانة"[2].

والناظر في تراثه يلاحظ أنه كتب في جل فنون الشريعة التي اشتغل بتدريسها، ولعل اشتغاله بالتدريس هو الذي أكسبه هذه المقدرة على تقديم هذه المواد بأسلوب يجمع بين الإيجاز والبيان مع الاحتفاظ بالمعاني، وحسن الترتيب والتقسيم، وهي ميزة تخرج كتبه، رغم اختصارها، عن أن تدرج ضمن الكتب التي عقدت العبارة على مستوى عرض الفكرة الفقهية في عصره.

وقد تعددت كتب ابن حزي، فمنها ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط. ويمكن تصنيف هذه الكتب حسب الموضوع إلى:

---

[1] - الإحاطة: ج.٣، ص.١٩٦.

[2] - المصدر نفسه. ج.٣، ص.٢٠.

كتب القرآن وعلومه :

١- التفسير : له كتاب التسهيل لعلوم التنزيل وهو مطبوع[1].

٢- القراءات القرآنية : **المختصر البارع في قراءة نافع**[2].
وأصول القراء الستة غير نافع[3].

الحديث وعلومه : **وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم**[4] **والدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار**[5] **والأنوار السنية في الكلمات السنية**[6] ويسميه البعض الأقوال السنية في الكلمات السنية، وهذا الكتاب شرحه الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن علي بن عبد الملك المنثوري القيسي المتوفى سنة ٨٣٤ هـ وشرحه يسمى مناهج العلماء الأحبار في تفسير أحاديث كتاب الأنوار، ويسمى أيضا شرح الأنوار السنية في الألفاظ السنية[7].

---

[1] - طبع هذا الكتاب سنة ١٣٥٥ هـ بمصر الطبعة الأولى كما طبع ببيروت بتحقيق عدنان زوزو ومحمد رضوان الداية. وطبع تحت إشراف لجنة تحقيق التراث في دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٩٨٨.

[2] - توجد نسخة خطية بالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم ٣٨٤.

- **الديباج** : ج.٢، ص.٢٧٥.

[3] - المصدرنفسه، ج.٢، ص.٢٧٥.

[4] - المصدر نفسه، ج.٢، ص.٢٧٥.

- **أزهار الرياض**، ج.٣، ص.١٨٥.

[5] - **الديباج** : ج.٢، ص.٢٧٥. وذكره المؤلف في **القوانين الفقهية**.

[6] - يوجد مخطوطا بالخزانة الناصرية بتمكروت تحت رقم ١٦٥٢، ص.٤١٨.

[7] - يوجد مخطوطا بالخزانة العامة تحت رقم ق ٢٧٨٩ وقد طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة، ١٣٤٧هـ

- **فهرس الفهارس** : عبد الحي الكتاني/ دار الغرب الاسلامي ط٣. ١٩٨٢ج.١، ص.٣٠٦.

العقيدة : النور المبين في قواعد الدين وسماه صاحب الديباج النور المبين في قواعد الدين[1].

التصوف : تصفية القلوب في الوصول إلى حضرة علام الغيوب[2].

أصول الفقه : تقريب الوصول إلى علم الأصول[3].

الفقه : كتاب القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية.

اللغة : الفوائد العامة في لحن العامة[4].

التراجم : فهرسة ذكر المترجمون أنها اشتملت على كثير من أهل المشرق والمغرب[5].

6 – شعره

لم ينشغل ابن جزي بالتأليف عن قول الشعر، بل ساهم

---

[1] – أزهار الرياض : ج.٣، ص.١٨٥.
– الديباج المذهب : ج.٢، ص.٢٧٥. وذكره المؤلف في كتابه القوانين الفقهية، ص.٤٢٥.

[2] – يوجد مخطوطا بالخزانة الناصرية بتمكروت تحت رقم ٦٨٧.

[3] – توجد نسخة منه بالخزانة العامة، ١٨٦٣ د، وقد حققه الأستاذ محمد على فركوس.

[4] – الديباج : ج.٢، ص.٢٧٥.

[5] – المصدر نفسه.
– فهرس الفهارس، ج.١، ٣٠٦.

بنصيب وافر، في نظمه، وقد تنوعت أشعاره ما بين مديح وفخر وتوسل، وقد ذهب في شعره مذهب المعري وابن المظفر والسلفي وأبي الحجاج ابن الشيخ، وأبي الربيع بن أبي الأحوص، وغيرهم من علماء المشرق والمغرب[1].

فمن شعره يفخر بعقيدته :

وكم من صفحة كالشمس تبدو ❖ فيسلب حسنها قلب الحزين
غضضت الطرف عن نظري إليها ❖ محافظة على عرضي وديني[2]

ومن قوله في التوسل :

يا رب إن ذنوبي اليوم قد عظمت ❖ فما أطيق لها حصرا ولا عددا
وليس لي بعذاب النار من قبل ❖ ولا أطيق لها صبرا ولا جلدا
فانظر إلهي إلى ضعفي ومسكنتي ❖ ولا تذيقني حر الجحيم غدا[3]

ومن قوله في المديح النبوي :

أروم امتداح المصطفى فيردني ❖ قصوري عن إدراك تلك المناقب
ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر ❖ ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب

---

[1] – أزهار الرياض، ج.٣، ص.١٨٤.
– الديباج :ج.٢، ص.٢٩٥
– نيل الإبتهاج : ص.٢٣٥.
– نفح الطيب : ج.٥، ص.٥١٤.
[2] – أزهار الرياض، ج.٣، ص.١٨٦.
[3] – المصدر نفسه/ ج.٣، ص.١٨٧، ويروى هذا البيت بتغيير بعض الألفاظ في الديباج ج.٢، ص.٢٧٦.

ولو أن أعضائي غدت وهي ألسن ❖ لما بلغت في القول بعض مآربي
ولو أن كل العالمين تآلفوا ❖ على مدحه لم يبلغوا بعض واجب
فأقصرت عنه هيبة وتأدبا ❖ وعجزا وإعظاما لأعظم جانب
ورب سكوت كان فيه بلاغة ❖ ورب كلام فيه عتب لعاتب[1]

ومن شعره أيضا :

لكل بني الدنيا مراد ومقصد ❖ وإن مرادي صحة وفراغ
لأبلغ في علم الشريعة مبلغا ❖ يكون به لي في الجنان بلاغ
ففي مثل هذا فلينافس أولو النهى ❖ وحسبي في الدنيا الغرور بلاغ
فما الفوز إلا في نعيم مؤبد ❖ به العيش رغد والشراب يساغ[2]

وقال في أبيات أخرى :

وقائلة لما هجرت التصابي ❖ ونسك في عنفوان الشباب
يمر زمان الصبا ضائعا ❖ ولم تله فيه ببيض الكعاب
ولم تدر لذة طيب الهوى ❖ ولم ترو من سلسبيل الرضاب
فقلت أبى العلم إلا التقى ❖ وهجر المعاصي ووصل المثاب

---

[1] – الديباج : ج.٢ن ص.٢٧٦.
– ازهار الرياض، ج.٣، ص.١٨٦ن رغم اختلاف بعض الألفاظ وقد وهم الأستاذ فركوس في تحقيقه لكتاب تقريب
الوصول إلى علم الأصول فاشار إلى أن هذه القصيدة توجد نسخة منها مخطوطة بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم
٦٩٩٢ والموجود تحت هذا الرقم قصيدة ابنه أبي بكر بن جزي ومطلعها
أقول لعزمي ولصالح أعمالي
ألا عم صباحا أيها الطلل البالي.
[2] – نثير الجمان، ص.١٦٦.

ومن لم يفد من طلاب العلوم ❖ رجاء الثواب وخوف العقاب
فخير له الجهل من علمه ❖ وأنجى له من أليم العذاب[1]

7 – مكانته العلمية

نبغ ابن جزي رحمه الله في فنون شتى، من فقه وحديث وأصول وقراءات وعقيدة وأدب ونحو ولغة وتفسير، وقد جمع بين الرواية والدراية، فكان عالما مشاركا ومحققا. شهد له معاصروه بالنبوغ والاستقامة والصلاح، قال عنه صاحب كتاب **نثير الجمان** : "كان فقيها إماما عالما بجميع العلوم محصلا، قارب درجة الاجتهاد، ودون وصنف في كل فن. وكان أحد أهل الفتيا بغرناطة"[2]. وقال أيضا : "أحد المفتين بغرناطة، علم الأندلس، الصائرة فتياه منها إلى طرابلس"[3] وقال عنه تلميذه لسان الدين ابن الخطيب : "مجتهد عاكف وروض فنون، أجاده من العلم كل واكف، أقام رسم مجده، ورفع عمد بيته، في قمة العلم ونجده، فأصبح صدر بلده، وأنجب تخلفين كريمين من ولده، وفرغ للعلم من جميع أعماله، وتفيء رياض دواوينه عن يمينه وشماله، واقتصر على طلب كماله، مع وفور ضياعه ونمو ماله، فدون الكثير وصنف، وقرط المسامع وشنف، وترقى إلى الخطابة

[1] – الكتيبة الكامنة : ابن الخطيب، ص.٤٧.

[2] – نثير الجمان، ص.١٦٦.

[3] – المصدر نفسه، ص.٢٨٤.

وهي ما هي من جلال الرتبة وسمو الهضبة، ففرع سنامها، ورفع أعلامها، وغضض شبيبته ناضر، وزمن فتائه حاضر، فوقع عليه الاتفاق، وانعقد على فضله الإجماع والإحقاق، ولم يزل يسلك طريق المجتهدين، فدون في الفقه الدواوين، وسفر في علم اللسان عن وجه الإحسان، ورحل في علم التفسير إلى كل لحية، وركض في أعراضه كل مطية... وله من الآداب حظ وافر ومذهب عن الحسن سافر"[1].

وقال عنه صاحب الديباج : "كان رحمه الله على طريقة مثلى في العكوف على المثل... والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيها حافظا قائما على التدريس، مشاركا في فنون العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب، حافظا للتفسير مستوعبا للأقوال، جماعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة قريب الغور صحيح الباطن. تقدم خطيبا بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنه، فاتفق على فضله، وجرى على سنن أصالته، فأمتع القلوب بحسن أسلوبه، وملك الأفئدة بوعظه وإرشاده وبراعة منطقه، وكان صحيح الاعتقاد، سليم الطوية. اشتغل بالتدريس فتتلمذ عليه الكثيرون"[2].

[1] - أوصاف الناس في التواريخ والصلات، لسان الدين ابن الخطيب، ص.٢٧،

[2] - الديباج : ج.٢، ص.٢٧٥.

- أزهار الرياض : ج.٣، ص.١٨٧.

8 – عقيدته

أما عقيدته، فهي عقيدة أهل السنة والجماعة، ويكفي أن يشير المترجمون له بأنه صحيح الباطن والاعتقاد[1]، وهذا ما يؤكده في مقدمة كتابه، إذ يقول "اعلم أني افتتحته بعقيدة سنية"[2].

ويظهر أثر هذه العقيدة في أتباعه لآثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام، فهو يقول عند تناوله للألفاظ القرآنية والحديثية التي يوهم ظاهرها التشبيه : "ورد في القرآن والحديث ألفاظ يوهم ظاهرها التشبيه، كقوله تعالى : ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ و﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وكحديث نزول الله كل ليلة إلى السماء الدنيا، وغير ذلك، وهي كثيرة تفرق فيها الناس ثلاث فرق : الفرقة الأولى : السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، آمنوا بها، و لم يبحثوا عن معانيها، ولا تأولوها، بل أنكروا على من تكلموا فيها ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾. وهذه طريقة التسليم التي تعود إلى السلامة. وبها أخذ مالك والشافعي وأكثر المحدثين. الفرقة الثانية قوم حملوها على ظاهرها ويعزى ذلك إلى من لزمهم التجسيم من الحنبلية، وبعض المحدثين. الفرقة الثالثة قوم تأولوها وأخرجوها على ظاهرها إلى ما تقتضيه أدلة العقول، وهم أكثر المتكلمين"[3].

---

[1] – أزهار الرياض : ج.٣، ص.١٩٦.

[2] – القوانين الفقهية : ابن جزي، ص.٩، دار الكتاب العربي، ط.٢، ١٩٨٩.

[3] – القوانين الفقهية : ابن جزي، ص.١٥.

ويظهر تأثره بعقيدة أهل السنة في تناوله لكثير من القضايا المتعلقة بمجال العقائد، كتناوله لمسألة النظر والتقليد. فهو يرى أن التقليد جائز، لأن الناس يعسر عليهم النظر والاستدلال. وإنما النظر لأهل الاجتهاد. يقول في كتابه **القوانين** : "فأما التقليد فاختلف العلماء فيه، فمذهب المتكلمين أنه لا يجوز ولا يجزئ، وقال أكثر المحدثين إنه جائز، يخلص عند الله، وهو صحيح، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قنع من الناس بحصول الإيمان بأي وجه حصل من تقليد أو نظر، ولو أوجب عليهم الاستدلال أو النظر لعسر الدخول في الدين على كثير من الناس كأهل البوادي وغيرهم، وإنما الاستدلال شأن ذوي العقول. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"[1]. وهو في طريقة الاستدلال يتبع ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة، فهو يقول : "ثم إن خير الاستدلال ما كان على طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وهو الاستدلال بكتاب الله، وتدبر آياته، والاعتبار في بديع مخلوقاته وعجائب مصنوعاته، والاقتداء بأخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم"[2].

9 – وفاته

توفي ابن جزي رحمه الله شهيدا في واقعة طريف، وقد ذكر المؤرخون أنه فقد وهو يحرض الناس ويشحذ هممهم ويثبتهم يوم

[1] – المصدر نفسه، ص.٢١.

[2] – المصدر نفسه، ص.٢١.

الكائنة بطريف، صحوة يوم الاثنين السابع لجمادى الأول عام ٧٤١ هـ.

وهذه الواقعة كانت بظاهر طريف في الجزيرة الخضراء، وكانت في عهد أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل من سلاطين بني نصر المتحالف مع بني مرين من جهة، وبين تحالف إمارات النصارى في شبه جزيرة إيبيريا من جهة أخرى، وقائد جيوش النصارى فيها "دون ألفنس بن هراندة" فأوقع بجيوش المسلمين وتملك الجزيرة الخضراء، وكاد يستولي على ما تبقى من الأندلس"[١].

---

[١] - الكتيبة الكامنة : ص.٩٦. - أعلام المغرب والأندلس : ص.١٦٥. - أزهار الرياض : ج.٢.ص.١٨٧. - نفح الطيب : ج.٥، ص.١٥,١٤.

ثالثا - توثيق الكتاب

عنوان الكتاب الذي بين أيدي القراء هو **تصفية القلوب في الوصول إلى حضرة علام الغيوب**، كذا ذكره المؤلف في أوله. وأشار إليه في كتابه **التسهيل لعلوم التنزيل**، حيث قال في مقدمته : "وقد ذكرنا هذا في كتاب [أثبتنا فيه][1] ما يستحسن من الإشارات الصوفية دون ما يُعْتَرض أو يُقْدح فيه. وتكلمنا أيضا على اثني عشر مقاما"[2]. ولقد فهم الدكتور سليمان أبو الريش[3] من هاته العبارة أنه يوجد كتاب للمؤلف يدعى **ما يستحسن من الإشارات الصوفية**، وأظنه يقصد هذا الكتاب، لكنه وهم في عنوانه. وأتى الدكتور محمد علي الزبيري في كتابه **ابن جزي ومنهجه في التفسير** ليستدرك عليه ويرى : "أن ذلك تصحيف وتقديم وتأخير في النص، ربما كان من الناسخ أو الطابع وأن الصواب -إن شاء الله- ما أثبته، ولم يذكر أي مصدر من المصادر التي ترجمت للمؤلف، أن له كتابا تحت هذا العنوان "[4].

---

[1] - يقتضيه السياق.

[2] - التسهيل لعلوم التنزيل ص.١٣.

[3] - ابن جزي الكلبي وأثره في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه قدمت في سنة ١٣٩٥ ه بكلية الشريعة والقانون : الأزهر، د. سليمان أبو الريش.

[4] - ابن جزي ومنهجه في التفسير. محمد علي الزبيري، ج.٢. ص.٦٠٧.

وتدل العبارة التي خلقت هذا الارتياب على أن هناك كتابا مستقلا بنفسه، يتناول الإشارات الصوفية، ومحتوى النص الذي بين أيدينا يدفع كل وهم أو تشكك في أنه المقصود، وإن لم يسبق لأي مصدر تناول ترجمة ابن جزي أن أشار إليه.

رابعا- وصف المخطوط :

يقع المخطوط المعتمد في هذا الكتاب في تسع وعشرين صفحة من الحجم المتوسط (مقاس ٢١ x ١٥ سم)، ومسطرته عشرون سطرا، وفي كل سطر تتراوح الكلمات بين ٨ إلى ١٣ كلمة، مع وجود هامش مناسب خال من الحواشي والطرر.

وحالة المخطوط جيدة، والورق سميك أصفر، وقلم الناسخ سميك يقوم بتغليظ عناوين الأبواب، ولا توجد كلمات أو عبارات ساقطة في المخطوط باستثناء بعض أدوات العطف. وقد كتب الناسخ بحبر أسود في سطور متوازية، دون استعمال الألوان، والخط مغربي، حيث إن الفاء تعجم بنقطة تحتية، والقاف بنقطة فوق، مثل صفة، فعل، فال، فطب وفته، وهو يحذف الهمزة في آخر بعض الكلمات مثل رسم ارتقا، بدل ارتقاء. ومن أغلاط الناسخ التي صححناها كتابة الألف المقصورة بدل الألف الممدودة في آخر الكلمة مثل "الفنى" بدل "الفناء".

وفي الصفحة الأولى كتب بعد البسملة والصلاة والسلام على النبي وآله وصحبه : "الحمد لله العزيز الوهاب مالك الملوك ورب الأرباب...".

ويثبت نسبة الكتاب إلى صاحبه بالعبارة التالية : "قال الشيخ الفقيه العالم العلامة المتفنن المفسر إمام عصره وقطب وقته الصوفي المحقق السيد أبو عبد الله محمد المدعو بأبي القاسم بن أحمد بن

محمد بن الجزي الكلبي الغرناطي"[1]. وتدل العبارة دلالة واضحة على أن الرسم لهذا الكتاب لم يكن من يد المؤلف، بل خط بيد الناسخ، واسم هذا الناسخ غير مذكور، وقد وقع في أخطاء إملائية ونحوية وغيرها مثل كتابة (انقشمنا) بدلا من "انقشعت" و(تكلمة) بدلا من "تكلمت" و(جلة) بدلا من "جبلت" و (إشار) بدلا من "إشارة". وكتابة الضاد المعجمة دون إشالة في (ضمأ) بدلا من "ظمأ" و(ألفاض) بدلا من "ألفاظ". إلى غير ذلك من الأخطاء التي قمنا بتصحيحها وتقويمها ليستقيم معنى بعض العبارات، كما قمنا بإضافة كلمات اقتضاها المعنى وضعناها بين معقفين. وهذا يدل على أن الناسخ لم يكن على مستوى علمي كاف يمكنه من تفادي مثل هاته العثرات.

---

[1] - المخطوط، الورقة ٣.

خامسا - **أصل المخطوط:**

وقد اعتمدنا في تحقيق هذا المخطوط على نسخة واحدة عثرنا عليها بالمكتبة الناصرية بتامكروت، ولم يسعفنا الحظ بعد جهد وعناء في العثور على نسخ أخرى، إلا أن بعض الفقرات الواردة في المخطوط تتشابه أو تتطابق مع ما ورد في **التسهيل** من الإشارات الصوفية، مما جعلنا نعتمد منهج المقابلة بينهما.

وإلى جانب تخريج الآيات والأحاديث، وضعنا لها فهارس وفهارس للمصطلحات الصوفية الواردة في المخطوط.

سادسا - **منهج المؤلف في هذا الكتاب:**

أثبت ابن جزي في مقدمة الكتاب الصلة الوثيقة للتصوف بالقرآن الكريم، من حيث معانيه ومقاماته ومقاصده وثمراته. حيث قال: "وأما التصوف فله تعلق بالقرآن، لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية ورياضة النفوس وتنوير القلوب وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة واجتناب الأخلاق الذميمة"[1].

وابن جزي لا يقبل التأويل المغالى فيه، بل يكتفي بانتقاء بعض الإشارات المستحسنة، ويترك تلك التأويلات الباطنية البعيدة عن الأذواق الصوفية المقبولة.

---

[1] - المخطوط، الورقة ٣.

وقد تكلم على اثني عشر مقاما من مقامات التصوف في مواضعها من القرآن الكريم. وهي:

١ - مقام الشكر والحمد.
٢ - مقام التقوى.
٣ - مقام الذكر.
٤ - مقام الصبر.
٥ - مقام التوحيد.
٦ - مقام المحبة.
٧ - مقام التوكل.
٨ - مقام المراقبة.
٩ - مقام الخوف.
١٠ - مقام الرجاء.
١١ - مقام التوبة.
١٢ - مقام الإخلاص.

افتتح المؤلف الحديث عن هاته المقامات بذكر البسملة وخصائصها اللغوية والفقهية والذوقية وأتبعه بالحديث عن الشكر والحمد من خلال سورة **الفاتحة** التي فصل في تفسير آياتها. مستنبطا من ذلك المعاني الصوفية الذوقية. مع الاستدلال ببعض الأحاديث النبوية وأقوال القوم.

تطرق في الفصل الأول لفضائل التقوى المستنبطة من القرآن الكريم، وهي خمس عشرة :

الهدي لقوله تعالى :

﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ؛

والنصرة لقوله تعالى :

﴿ إن اللهَ مَعَ الذِينَ اتَّقَوْا ﴾ ؛

والولاية لقوله تعالى :

﴿ وَاللهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ ﴾ ؛

والمحبة لقوله تعالى :

﴿ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ ﴾ ؛

والمعرفة لقوله تعالى :

﴿ إنْ تتقوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ ؛

والمخرج من الغم لقوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾ ؛

والرزق لقوله تعالى :

﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَايَحْتَسِبُ ﴾ ؛

وتيسير الأمور لقوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ ؛

وغفران الذنوب وإعظام الأجر لقوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ ،

وتقبل الأعمال لقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ،

والفلاح لقوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ،

والبشرى لقوله تعالى :

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ ،

ودخول الجنة لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ،

والنجاة من النار لقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ ،

والمفازة لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ ،

وفي الفصل الثاني ، تحدث عن البواعث على التقوى وهي عشرة منها :

خوف العقاب الدنيوي.

ورجاء الثواب الدنيوي.

وخوف العقاب الأخروي.

ورجاء الثواب الأخروي.

وفي الفصل الثالث تحدث عن درجات التقوى وهي خمس :

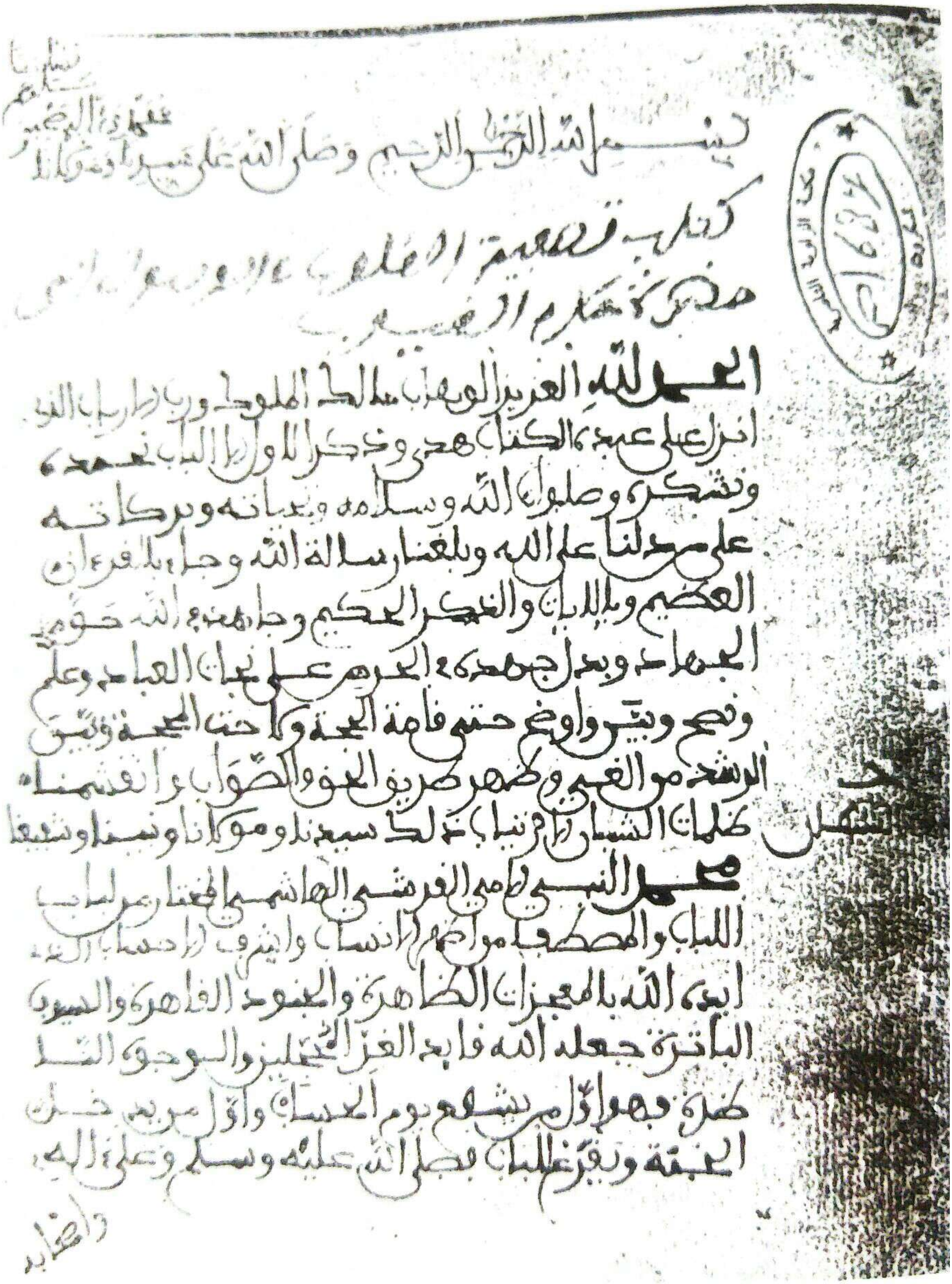
١ - مقام الإسلام؛
٢ - مقام التوبة؛
٣ - مقام الورع؛
٤ - مقام الزهد؛
٥ - مقام المشاهدة؛

ثم تطرق بعد ذلك إلى الأبواب الإثني عشر التي سبقت الإشارة إليها في المقدمة.

وقد التزم ابن جزي بما صرح به في أول الكتاب من الاعتماد على : "ما يستحسن من الإشارات الصوفية دون ما يعترض أو يقدح فيه"[١] وهكذا جاء أسلوبه واضحا ودقيقا، وبعيدا عن الإلغاز والغموض مع شدة الحرص على التأصيل القرآني والسني للمقامات الصوفية التي تحدث عنها.

---

١ - المخطوط، الورقة ٣



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

كتاب [illegible]

[illegible]

الحمد لله العزيز الوهاب مالك الملوك ورب الأرباب الذي
أنزل على عبده الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب نحمده
ونشكره وصلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته
على مرسلنا على الله وبلغنا رسالة الله وجاء بالقرآن
العظيم وبالآيات والذكر الحكيم وجاهد في الله حق
الجهاد وبذل جهده في الحرص على نجاة العباد وعلم
ونصح وبين وأوضح حتى قامت الحجة ووضحت المحجة وتبين
الرشد من الغي وظهر طريق الحق والصواب وانقشعت
ظلمات الشك والارتياب ذلك سيدنا ومولانا ونبينا وشفيعنا
محمد النبي الأمي القرشي الهاشمي المختار من لباب
اللباب والمصطفى من أطهر الأنساب وأشرف الأحساب
أيده الله بالمعجزات الظاهرة والجنود القاهرة والسيوف
الباترة جعله الله قائد الغر المحجلين والوجوه التي
ظهرت وأول من يشفع يوم الحساب وأول من يفتح باب
الجنة ويقرع الباب فصلى الله عليه وسلم وعلى آله
وأصحابه

---

1 الصفحة الأولى من المخطوط

قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الاية ما امروا في التوراة والانجيل
الا بعبادة الله وما امروا في القرءان الا بعبادة الله قوله تعالى مخلصين
له الدين استدل المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء
قوله تعالى مخلصين يراد به التوحيد وترك الشرك وترك
الرياء وفي ذلك ان الاخلاص مطلوب في التوحيد وفي الاعمال
وضد الاخلاص في التوحيد هو الشرك الجلي وضد الاخلاص
في الاعمال هو الشرك الخفي وهو الرياء قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الرياء الشرك الاصغر وقال عليه الصلاة
والسلام فيما يرويه عن ربه انه تعالى يقول انا اغنى الاغنياء
عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشريكه
فهذا مما يحذر منه المتصوفة واعلم ان الاعمال على ثلاثة
انواع مامورات ومنهيات ومباحات فاما المامورات
فالاخلاص فيها هو عبارة عن خلوص النية لوجه الله
بحيث لا يشرك بها نية اخرى فان كانت كذلك فالعمل
خالص مقبول وان كانت النية لغير وجه الله من طلب
منفعة دنياوية او مدح او غير ذلك فالعمل رياء
محض مردود وان كانت النية مشتركة ففي ذلك
تفصيل فيه نظر واحتمال واما المنهيات فان تركها
دون نية خرج من عهدتها ولم يكن له اجر في تركها
وان تركها بنية وجه الله حصل له الخروج من عهدتها

[1] الصفحة الثانية من المخطوط.

القسم الثاني

﴿ تحقيق ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الحمد لله العزيز الوهاب، مالك الملوك ورب الأرباب، الذي أنزل على عبده الكتاب، هدى وذكرا لأولي الألباب. نحمده ونشكره، وصلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته على من دلنا على الله، وبلّغنا رسالة الله، وجاء بالقرآن العظيم، وبالآيات والذكر الحكيم، وجاهد في الله حق الجهاد، وبذل جهده في الحرص على نجاة العباد، وعلّم ونصح، وبيّن وأوضح، حتى قامت الحجة، ولاحت المحجة، وتبين الرشد من الغي، وظهر طريق الحق والصواب، وانقشعت[1] ظلمات الشيطان والارتياب، ذلك سيدنا ومولانا ونبينا وشفيعنا محمد، النبي الأمي القرشي الهاشمي المختار من لباب اللباب، والمصطفى من أطهر الأنساب وأشرف الأحساب، الذي أيده الله بالمعجزات الظاهرة، والجنود القاهرة، والسيوف الباترة. جعله الله قائد الغر المحجّلين والوجوه الناضرة. فهو أول من يشفع يوم الحساب، وأول من

---

[1] - في الأصل: وانقشعنا.

يدخل الجنة ويقرع الباب. فصلى الله عليه وسلم وعلى آله /2/ وأصحابه الأكرمين، خير أهل وأكرم صحب وأصحاب. صلاة زكية لا يحصر مقدارها العدد والحساب، ولا يبلغ إلى وصفها ألسنة البلغاء و[لا][1] أقلام الفصحاء والكتاب.

أما بعد، أيها المحب الصادق بمحبته، إن التصوف شيء يقذفه الله في قلوب أصفيائه، وهو يذاق على يد أهله، وأصله نعم الصفا والوفاء. و[الـ][2] محبة الصادقة محل القرب بالمصطفى.

وأما التصوف فله تعلق بالقرآن، لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية[3] ورياضة النفوس وتنوير القلوب وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة واجتناب الأخلاق الذميمة. وقد تكلمت المتصوفة في تفسير القرآن، فمنهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني والرشاد، ووقب ووقف على حقيقة المراد، ومنهم من توغل في [المعاني][4] الباطنة وحمل القرآن على ما [لا][5] تقتضيه اللغات العربية. وقد جمع أبو عبد الرحمان السلمي[6]

---

[1] – غير موجودة في الأصل

[2] – زيدت

[3] – في الأصل : الألوهية

[4] – كلمة غير واردة في الأصل، يقتضيها السياق.

[5] – هكذا في التسهيل.

[6] – اشتهر بنسبته إلى سليم ولد سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م، ألف في الحديث والتفسير والتصوف. أنظر **مفتاح السعادة** ج.١، ص.٤٥١.

كلامهم في التفسير في كتابه [الذي][1] سماه *الحقائق*[2]، وقال بعض العلماء: بل هي البواطل. وإذا أنصفنا قلنا: فيه حقائق وبواطل. وقل[3]: في هذا الكتاب ما يستحسنه[4] من الإشارة الصوفية. دون ما يتعرض أو يقدح فيه.

قال الشيخ الفقيه العالم العلامة المتفنن المفسر، إمام عصره وقطب وقته الصوفي المحقق السيد أبو عبد الله محمد المدعو بأبي [القاسم][5] بن أحمد بن محمد ابن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي، رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وبأمثاله. قال في تفسيره الذي سماه *كتاب /3/ التسهيل لعلوم التنزيل*. قال: وقد تكلمنا أيضا على اثني عشر مقاما من *مقام* التصوف في مواضعها من القرآن، فتكلمنا على الشكر في أم القرآن، لما بين الحمد والشكر من الاشتراك، وتكلمنا على التقوى في قوله تعالى في البقرة: "هُدًى لِلْمُتَّقِينَ"[6]، وعلى الذكر في قوله فيها: "فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ"[7]، وعلى الصبر في قوله فيها: "وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ"[8]، وعلى

---

[1] – غير موجودة في الأصل.

[2] – تأليفه الوحيد في التفسير: **حقائق التفسير** سلك به طريف التصوف فجعله تفسيرا على "لسان أهل الحقائق". انظر مقدمة محقق كتابه **طبقات الصوفية** نور الدين شريبة مكتبة الخانجي ص ٣٥.

[3] – **في التسهيل**: "وقد ذكرنا هذا في كتاب".

[4] – في الأصل: يستحسن.

[5] – في الأصل: القاسمي.

[6] – سورة البقرة، الآية ٢.

[7] – سورة البقرة، الآية ١٥٢.

[8] – سورة البقرة، الآية ١٥٥

التوحيد في قوله فيها: "وإلهكم إله واحد"[1]، وعلى محبة الله في قوله فيها: "والذين آمنوا أشد حبا لله"[2]، وعلى التوكل في قوله في آل عمران: "فإذا عزمت فتوكل على الله"[3]، وعلى المراقبة في قوله في النساء: "إن الله كان عليكم رقيبا"[4]، وعلى الخوف والرجاء في قوله في الأعراف: "وادعوه خوفا وطمعا"[5]، وعلى التوبة في قوله في النور: "وتوبوا إلى الله جميعا"[6]، وعلى الإخلاص في قوله في البينة:[7] وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين"[8].

وأما أصول الدين فتتعلق بالقرآن من طريقين: أحدهما ما ورد في القرآن من إثبات العقائد وإقامة البراهين عليها والرد على أصناف الكفار والأحزاب [و][9] الطوائف المختلفة من المسلمين، تعلقوا بالقرآن وكل طائفة منهم تحتج لمذهبها في القرآن وترد على من خالفها وتزعم أنه خالف القرآن. ولا شك أن منهم المحق والمبطل، فمعرفة تفسير القرآن توصل في ذلك إلى التحقيق مع التسديد والتأييد. من الله والتوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل.

---

[1] - سورة البقرة، الآية ١٦٣.

[2] - سورة البقرة، الآية ١٦٥.

[3] - سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

[4] - سورة النساء، الآية ١.

[5] - سورة الأعراف، الآية ٥٦.

[6] - سورة النور، الآية ٣١.

[7] - في الأصل "لم يكن"، ولعله يريد الحزب بدل السورة.

[8] - سورة البينة، الآية ٥.

[9] - غير موجودة في الأصل.

الكلام على البسملة

الباء من بسم الله متعلقة باسم محذوف عند البصريين. والتقدير ابتدائي كائن باسم الله، فموضعها رفع. وعند الكوفيين[1] /4/ تتعلق بفعل تقديره: أبدأ بسم الله أو أتلو بسم الله. فموضعها نصب. وينبغي أن [يقدر][2] متأخرا لوجهين: أحدهما إفادة الحصر والاختصاص، والآخر تقديم بسم الله اغتناء. كما قدر في "بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا"[3].

وأيضا الاسم مشتق من السمو عند البصريين. فلامه واو محذوفة. وعند الكوفيين مشتق من السمة، وهي العلامة. ففاؤه واو محذوفة. ودليل البصريين التصغير والتكسير، وأن اللام حرف علة. وقول الكوفيين أظهر في المعنى، لأن الاسم علامة على المسمى. وأيضا قولك: الله، اسم [مرتجل][4] جامد. والألف واللام فيه لازمة. لا للتعريف[5]، وقيل لأنه مشتق من التأله. وهو التعبد، وقيل من الولهان، وهي الحيرة، لتحير العقول في شأنه. وقيل أصله من غير ألف ولام، ثم حذفت الهمزة من أوله على غير قياس ثم أدخلت عليه الألف واللام. وقيل أصله الإله.

---

1 - في الأصل: الكوفيون

2 - في الأصل: يتقدر

3 - سورة هود: الآية ٤١

4 - هكذا في التسهيل وورد مترجل في الأصل

5 - في التسهيل: للتعريف

بالألف واللام، ثم حذفت الهمزة ونقلت حركتها إلى اللام كما تنقل إلى الأرض وشبهه، فاجتمع اللامان فأدغمت إحداهما في الأخرى وفخم للتعظيم، إلا إذا كان قبله كسرة. فافهم إن كنت من أهلها.

وأيضا، **الرحمان الرحيم**، على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، صفتان من الرحمة، ومعناهما: الإحسان. فهي صفة فعل، وقيل إرادة الإحسان[1]، فهي صفة ذات، ومعناهما على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن الرحمان في الدنيا [والآخرة][2] والرحيم في الآخرة، وقيل: فالرحمان عام في رحمة المؤمنين والكافرين، والرحيم خاص بالمؤمنين لقوله: "وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً"[3]. فالرحمان أعم وأبلغ، وقيل: الرحيم أبلغ لوقوعه بعده على طريق الارتقاء إلى الأعلى. وأيضا إنما قدم الرحمان لوجهين: اختصاصه بالله، وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات. فافهم. وبالله التوفيق والله حسبي على ما نقول.

---

[1] - "والرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان ومنه الرحيم لانعطافها على مافيها. وأسماء الله تعالى إنما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادئ التي تكون انفعالات. والرحمن أبلغ من الرحيم، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى" أنوار التنزيل **وأسرار التأويل** المعروف بتفسير البيضاوي، ص ١٩. مؤسسة شعبان.

[2] - عن ابن مسعود ومسعر بن كدام عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن عيسى بن مريم قال: "الرحمن رحمن الآخرة والدنيا والرحيم رحيم الآخرة" انظر تفسير بن جرير الطبري **جامع البيان في تفسير القرآن** ج ١، ص ٤٣، دار المعرفة، بيروت، ط ٣، ١٩٧٨.

[3] - سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

سورة *أم القرآن* مكية، عدد آيها سبع آيـات، عـدد كلماتها خمس وعشرون كلمة، عدد حروفها مائة وواحد وأربعـون حرفا. وتسمى سورة *الحمد*، وفاتحة الكتاب، وأم القرآن، والواقية الشافية، والسبع المثاني، وفيها عشرون فـائدة، واختلف فيها: قيل مدنية، وقيل مكية: ولا خلاف أن الفاتحة سبع آيـات، إلا أن الشافعي[1] يعد *البسملة* آية منها، ومالك[2] يسقطها ويعد *أنعمت عليهم* آية.

تفسيرها: الحمد، معناه: قيل: الحمد أعم من الشكر، لأن الشكر لا يكون إلا جزاء على نعمة، والحمد يكون جزاء، كالشكر، ويكون ثناء ابتداء. كما أن الشكر قد يكون أعم من الحمد، لأن الحمد باللسان، والشكر باللسان والقلب والجوارح. فإذا فهمت عموم الحمد علمت أن قولك: الحمد، يقتضي الثناء عليه بما هو أهله من الجلال والعظمة والوحدانية والعزة والإفضال والعلم والقدرة والحكمة، وغير ذلك من الصفات. ويتضمن معنى أسمائه الحسنى التسعة والتسعين، ويقتضي شكره الثناء عليه بكل نعمة أعطى، ورحمة أولى، على جميع خلقه في الآخرة /6/ والأولى. فيالها من كلمة جمعت ما تضيق عنه المجلدات، وتقف دون [عده][3] عقول الخلائق. ويكفيك أن الله جعلها أول كتابه

---

[1] - يرى الشافعي أن البسملة آية في أول الفاتحة. أنظر أحكام القرآن لابن العربي، ج ١ ص. ٢.

[2] - ويرى مالك أنها ليست في أوائل السور بآية، وإنما هي استفتاح ليعلم بها مبتدؤها. انظر المصدر نفسه.

[3] - في الأصل هداة، وذكرنا مافي التسهيل.

وآخر دعاء[1] أهل الجنة، لقوله تعالى "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ"[2].

واعلم أيها المحب الصادق في حبه، أن الشكر هو الثناء باللسان على المنعم، والتحدث بالنعمة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "التحدث بالنعمة شكر"[3]، والشكر بالجوارح هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه، والشكر بالقلب هو معرفة مقدار النعمة، والعلم بأنها من الله وحده و بأنها تفضل منه لا باستحقاق العبد.

واعلم أيها المحب أن النعم التي يجب الشكر عليها [لا][4] تنحصر في ثلاثة أقسام: نعم دنيوية كالعافية والمال والأولاد، ونعم دينية كالعلم والتقوى والعمل، ونعم أخروية وهي جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل في العمر القصير.

والناس في الشكر على مقامين: منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصة، ومنهم من يشكر الله على جميع خلقه على النعم الواصلة إلى جميعهم.

والشكر على ثلاث درجات: فدرجة العوام، الشكر على النعم، ودرجات الخواص، الشكر على النعم والنقم وعلى كل

---

[1] - في التسهيل دعوى.

[2] - سورة يونس، الآية ١٠.

[3] - رواه الإمام أحمد في مسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، ج ٤، ص ٣٧٥.

[4] - زائدة في الأصل

حال. فدرجة خواص الخواص، أن يغيب عن رؤية النعمة بمشاهدة /7/ المنعم. قال رجل لإبراهيم بن أدهم[1] : "إن الفقراء إذا أعطوا شكروا وإذا منعوا صبروا. فقال إبراهيم هذه أخلاق الكلاب، ولكن القوم إذا منعوا شكروا وإذ أعطوا آثروا". ومن فضيلة الشكر أنه من صفات الحق سبحانه ومن صفات الخلق. فإن من أسماء الله: الشاكر والشكور.

قوله تعالى *الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ*. أفضل عند المحققين من لا إله إلا الله لوجهين:

أحدهما ما خرجه النسائي[2] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال: "لا إله إلا الله" كتب له عشرون حسنة، ومن قال: *الحمد لله رب العالمين* كتب له ثلاثون حسنة"[3].

والثاني أن التوحيد الذي تقتضيه "لا إله إلا الله" حاصل في قولك "رب العالمين"، وزادت بقولك: *الحمد لله*. وفيه من المعاني ما قدمنا.

---

[1] - ابراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي أبو اسحاق : زاهد مشهور. كان إذا حضر مجلس سفيان الثوري وهو يعظ. أوجز سفيان في كلامه مخافة أن يزل. أخباره كثيرة وفيها اضطراب واختلاف في نسبته ومسكنه ومتوفاه. ولعل الراجح أنه مات سنة ١٦١هـ.انظر الأعلام للزركلي ج.١. ص.٣١، ط.١١، ١٩٩٥.

[2] - أبو عبد الرحمن بن دينار النسائي نسبة إلى نساء بلد بخراسان، ولد سنة خمس عشرة وقيل أربع عشرة ومائتين كان أحد أعلام الدين وأركان الحديث وكان ورعا متحريا شافعي المذهب، له مناسك على مذهب الشافعي. وصنف كتاب الخصائص في فضل علي بن أبي طالب (ت ٣٠٣ هـ). انظر الحطة في ذكر الصحاح الستة. ط ١ ص٢٥٣

[3] - اتحاف السادة المتقين. للزبيدي. ج.٩. ص.٤٩. ط. تصوير بيروت.

وإنما قوله صلى الله عليه وسلم: "أفضل ما قلته أنا والنبيئون من قبلي: لا إله إلا الله"١، فإن ذلك للتوحيد الذي تقتضيه، وقد شاركتها الحمد لله رب العالمين في ذلك، وزادت عليها. وهذا المؤمن يقولها لطلب الثواب، وأما من دخل في الإسلام فيتعين عليه[قول]٢: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

قوله تعالى: "رب العالمين". الرب وزنه فعل بكسر العين ثم أدغم، ومعانيه أربعة: الإله، والسيد، والمالك، والمصلح. وكلها تصح في رب /8/ العالمين، إلا أن الأرجح: معنى لا إله اختصاصه بالله تعالى، كما أن الأرجح في العالمين، أن يراد به كل موجود سوى الله تعالى، فيعم جميع المخلوقات.

قوله تعالى: "مَلِكِ يَوْمِ الدِّين"٣، قرأه الجميع من غير ألف، من الملك، وقرأه عاصم٤ [و]٥ الكسائي٦ بالألف، والتقدير على هذا: ملك مجيء يوم الدين، أو مالك لأمر يوم الدين. وقراءة الجماعة أرجح لثلاثة أوجه:

---

١ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة. وأفضل قولي وقول الأنبياء قبلي لاإله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد، يحي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير" (هكذا رواه أبو عبدالرحمن بن يحي وغلط فيه، إنما رواه مالك في الموطأ مرسلا). شعب الايمان للبيهقي تحقيق بسيوني زغلول ط١ .١٩٩٠ ج ٣ ص٤٦٢.

٢ - غير موجودة في الأصل.

٣ - سورة الفاتحة، الآية ٤.

٤ - عاصم بن بهدلة أبي النجود الأسدي، و يكنى أبا بكر وهو من التابعين، قال ابن الجزري. "انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبدالرحمن السلمي". ثم قال: "وكان قد جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد. وكان أحسن الناس صوتا بالقرآن". توفي بالكوفة سنة ١٢٧ هـ. انظر معرفة القراء الكبار للذهبي، ج ١، ص٧٣. طبعة القاهرة، وانظر أيضا النشر لابن الجزري، ج.١، ص ١٥٥، طبعة القاهرة.

٥ - ساقطة في الأصل مذكورة في التسهيل.

٦ - هو علي بن حمزة النحوي، ويكنى أبا الحسن وقيل له الكسائي. وقال أبو بكر بن الأنباري، كان أعلم الناس بالنحو وواحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن فكانوا يكثرون عليه، فيجمعهم ويجلس على كرسي، ويتلو القرآن من أوله إلى أخره، وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ" توفي سنة ١٨٩ هـ. انظر **معرفة القراء الكبار**، ج.١، ص.١٠٢، ط. القاهرة. والنشر في القراءات العشر لابن الجزري. ج.١، ص.١٧٢، ط. القاهرة.

الأول أن الملك أعظم من المالك، إذ قد يوصف كل واحد بالمالك لماله، وأما الملك وهو سيد الناس.

والثاني قوله: "وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ"[1].

والثالث: أنها لا تقتضي حذفا وأخرى تقتضيه. لأن تقديرها مالك الأمر، أو مالك مجيء يوم الدين، والحذف على خلاف الأصل.

وأما قراءة الجماعة بإضافة مالك إلى يوم الدين فهي على طريق الاتساع وإجراء الظرف مجرى المفعول به، والمعنى على الظرفية. أي الملك في يوم الدين. ويجوز أن يكون المعنى ملك الأمر[2] يوم الدين. فيكون فيه حذف.

وقد رويت القراءتان في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

قوله تعالى: *الرحمان، الرحيم، وملك*، صفات فإن قيل كيف جرى ملك ومالك صفة للمعرفة، وإضافة اسم الفاعل غير محضة. فالجواب أنها تكون غير محضة إذا كان بمعنى الحال والاستقبال. وأما هذا فهو مستمر دائم بإضافته محضة.

---

[1] - سورة الأنعام، الآية ٧٣.

[2] - في التسهيل، الأمور.

[3] - أخرج ابن الأنباري قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل، (ملك يوم الدين) بغير ألف. وأخرج أحمد في الزهد والترمذي وابن أبي داود وابن الأنباري عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان، كانوا يقرؤون (مالك يوم الدين) بالألف. انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور. السيوطي، ج.١، ص.٣٥ دار الفكر.١٩٨٣.

قوله تعالى: *يوم الدين* هو يوم القيامة، ويصلح هنا من معاني الدين الحساب والجزاء أو القهر، ومنه "إنا لمدينون"./٥/.

قوله: *إياك* في الموضعين، مفعول بالفعل الذي بعده، وإنما قدم ليفيد الحصر، فإن تقديم المعمولات يقتضي الحصر، *فاقتضى* قول العبد : إياك نعبد، أنه يعبد الله وحده، واقتضى قولك : "إياك نستعين" اعترافا بالعجز والفقر، وأنه لا يستعين إلا بالله وحده.

قوله تعالى: *إياك نستعين* : أي نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا، وفي هذا دليل على بطلان قول القدرية[1] والجبرية[2] أن الحق بين ذلك.

قوله تعالى: *اهدنا* : دعاء بالهدى، فإن قيل كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم! فالجواب أن ذلك طلب للثبات عليه إلى الممات[3] أو الزيادة منه، فإن الارتقاء في المقامات لانهاية له أيضا.

---

[1] - فرقة ظهرت في زمن المتأخرين من الصحابة. اختلفت في القدر والاستطاعة من معبد الجهني وغيلان الدمشقي والجعد بن درهم، وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة كعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وعبد الله بن ابي أوفى ... وأقرانهم، وأوصوا أخلافهم بأن لايسلموا على القدرية ولايصلوا على جنائزهم ولا يعودوا مرضاهم. انظر **الفرق بين الفرق** : البغدادي، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ص ١٥، دار المعرفة.

[2] - الجبرية، ويقال لهم الجهمية، " هولاء اتباع جهم بن صفوان الذي قال بالجبر وزعم ان العباد مضطرون الى انواع تصرفهم كما يضطر الريح الى حركتها، ولم يثبتوا للعبد كسبا ولا استطاعة. **أصول الدين البغدادي** ط ٢ - ١٩٨٠ لبنان - ص ٣٣٣

[3] - في التسهيل : الموت.

قوله تعالى *الحمد لله*، قدم الحمد والثناء على الدعاء لأن تلك هي السنة في الدعاء، وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وذلك أقرب للإجابة. وكذلك قدم "الرحمان الرحيم" على "ملك يوم الدين" لأن رحمة الله سبقت غضبه، وكذلك قدم "إياك نعبد" على "وإياك نستعين" لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أولى. وأيضا ذكر الله في أول السورة على طريق الغيبة، ثم على الخطاب: "إياك" وما بعده، وذلك يسمى الالتفات[1]، وفيه إشارة [إلى][2] أن العبد إذا ذكر الله تقرب منه فصار من أهل الحضور، فنجاه.

قوله تعالى: *الصراط*، وفي اللغة الطريق المحسوس الذي يُمشَى عليه، ثم استعير للطريق الذي يكون الإنسان عليها من خير أو شر.

قوله: "المستقيم": القويم الذي لا عوج /10/ فيه، فالصراط المستقيم: الإسلام، وقيل: القرآن، والمعنيان متقاربان، لأن القرآن تضمن شرائع الإسلام، وكلاهما مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم[3].

---

[1] - الانتقال من إحدى الصيغ الثلاث، أعني الحكاية والخطاب، والغيبة إلى الأخرى لمفهوم واحد رعاية لنكتة وهو على أقسام: والمقصود في المتن قسم الانتقال من الغيبة إلى الخطاب. انظر تفصيل ذلك في كتاب "التبيان في علم المعاني والبديع والبيان" شرف الدين الطيبي، تحقيق وتقديم الدكتور هادي عطية الهلالي.

[2] - ساقطة في الأصل ومذكورة في **التسهيل**.

[3] - أخرجه أحمد والترمذي وحسنه النسائي وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والحاكم وصححه ابن مردويه والبيهقي في **شعب الإيمان** عن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ضرب الله صراطا مستقيما، وعلى جنبي الصراط سوران فيهما أبواب منفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داعي يقول ..." إلى أن يقول صلى الله عليه وسلم: "فالصراط، الإسلام ..." وأخرج البيهقي في **الشعب** من طريق قيس بن سعد عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "القرآن هو النور المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم". انظر **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، السيوطي، ج.١، ص.٣٨.

قوله تعالى "صراط" بالصاد وبالسين، وبين الصاد والزاي.

قوله تعالى: "الذين أنعمت عليهم"، قال ابن عباس[1]: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وقيل المؤمنون، وقيل الصحابة، وقيل قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا، والأول أرجح لعمومه، ولقوله تعالى "مَعَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ"[2].

قوله تعالى: "غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ"، اليهود والنصارى. المغضوب [عليهم][3] اليهود، و"الضالين" النصارى. قاله ابن عباس وابن مسعود[4] وغيرهما. وقد روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. وفي قوله *ولا الضالين* دليل على تغاير الطائفتين، وأن الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن كقوله *فباءوا بغضب من الله*. والضلال صفة النصارى لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسى ابن مريم عليه السلام، وفي قول الله فيهم *"قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ"*[5].

---

[1] - هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث. دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" وقال عنه عبد الله بن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس، و اتفقوا على أنه مات بالطائف سنة ٦٨ هـ. انظر **الإصابة** ابن حجر العسقلاني تحقيق علي البجاوي دار نهضة مصر القاهرة ج.٤، ص.١٤١.

[2] - سورة النساء، الآية ٦٩.

[3] - غير موجودة في الأصل.

[4] - أسلم قديما، وهاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد بعدها، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان صاحب نعليه، وحدث عنه صلى الله عليه وسلم بالكثير، وعن عمر وسعد بن معاذ. توفي قبل قتل عمر بن الخطاب بالمدينة سنة ٣٢ هـ. انظر **الإصابة**، ج.٤، ص.٢٣٣.

[5] - سورة المائدة، الآية ٧٧.

واعلم أن هذه السورة جمعت معاني القرآن كله، فكأنها نسخة مختصرة، فتأملها بعد تحصيل ما فسرنا لك. و با لله التوفيق.

الأول فالألوهية[1] حاصلة في قوله :

﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ ﴾.

والدار الآخرة /11/ في قوله :

﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾.

والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي في قوله :

﴿ إِيَاكَ نَعْبُدُ ﴾.

والشريعة كلها في قوله :

﴿ الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ ﴾.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرهم في قوله :

﴿ الذِّينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾.

وذكر طوائف الكفار في قوله :

﴿ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾.

---

[1] – في الأصل : إلالهية

خاتمة

أمر بالتأمين عند ختم الفاتحة للدعاء الذي فيها. وقولك : "آمين" اسم فعل معناه : اللهم استجب لنا. وقيل : هو من أسماء الله. ويجوز فيه مد الهمزة وقصرها، ولا يجوز تشديد الميم، ويؤمن في الصلاة المأموم والإمام والفذ إذا أسروا، [و] اختلفوا إذا جهروا. وبالله التوفيق.

وأيضا، اعلم أيها المحب أن الله خص بفاتحة الكتاب أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يخص بها أحدا قبلهم، وأن فيها سبع آيات، ولذلك قسم الله هذه الأمة المرحومة إلى سبعة أصناف :

- صنف منهم الحامدون؛
- وصنف منهم الراجون؛
- وصنف منهم الخائفون؛
- وصنف منهم المخلصون؛
- وصنف منهم المتوكلون؛
- وصنف منهم المستقيمون؛
- وصنف منهم العارفون.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾، من الفاتحة، ولكل صنف منهم له حظ فيها:

فحظ الحامدين منهم : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛

وحظ الراجين منهم : ﴿ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ ﴾ ،
وحظ الخائفين منهم : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ،
وحظ المخلصين منهم : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ،
وحظ المتوكلين منهم : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ،
وحظ المستقيمين منهم : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ،
وحظ العارفين منهم : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

فهذا سر /12/ الفاتحة، لا يعرف قدره إلا الله.

هذا أول مقام التقوى

قوله تبارك وتعالى: "أَلَمِ ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ"[1] اختلف في سائر حروف الهجاء وفي أوائل السور وهي "ألم ذلك" و "ألم الله" و"آلمص" و "ألر" و"ألمر" و "كهيعص" و"طه" و"طسم" و"طس" و"يس" و "ص" و "حم" و "حمعسق" و"ق" و "ن". قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : "لله تعالى في كل كتاب سر، وسره في القرآن فواتح السور"[2].

[1] – سورة البقرة، الآية ٢.

[2] – قال أبو بكر الصديق : "لله في كل كتاب سر، وسره في القرآن اوائل السور" **التفسير الكبير**، للإمام الرازي، ج.٢، ص.٣، ط.٢، دار الكتب (د.ت).

قوله تعالى: "للمتقين" من التقوى. نتكلم في التقوى في ثلاثة فصول:

الفصل الأول : في فضائله المستنبطة من القرآن، وهي خمس عشرة:

الهدى لقوله تعالى :

﴿ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1]

والنصرة لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الذِينَ اتَّقَوْا ﴾[2]

والولاية لقوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ ﴾[3]

والمحبة لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ ﴾[4]

والمعرفة لقوله تعالى :

﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً ﴾[5]

---

[1] - سورة البقرة، الآية ٢.
[2] - سورة النحل، الآية ١٢٨.
[3] - سورة الجاثية، الآية ١٩.
[4] - سورة التوبة، الآية ٧.
[5] - سورة الأنفال، الآية ٢٩.

والمخرج من الغم لقوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾[1]

والرزق لقوله تعالى :

﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[2]

وتيسير الأمور لقوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾[3]

وغفران الذنوب وإعظام الأجر لقوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً ﴾[4]

وتقبل الأعمال لقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[5]

---

[1] – سورة الطلاق، الآية ٢.

[2] – سورة الطلاق، الآية ٣.

[3] – سورة الطلاق، الآية ٤.

[4] – سورة الطلاق، الآية ٥.

[5] – سورة المائدة، الآية ٢٧.

والفلاح لقوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1]

والبشرى لقوله تعالى :

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾[2]

ودخول الجنة لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[3]

والنجاة من النار لقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾[4]

والمفازة لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾[5]

الفصل الثاني : في البواعث على التقوى /13/ وهي عشرة :

خوف العقاب الدنيوي ؛

ورجاء الثواب الدنيوي ؛[6]

---

[1] – سورة آل عمران، الآية ١٣٠.

[2] – سورة يونس، الآية ٦٤.

[3] – سورة القلم، الآية ٣٤.

[4] – سورة مريم، الآية ٧٢.

[5] – سورة النبأ، الآية ٣١.

[6] – في التسهيل الآخروي.

وخوف العقاب الأخروي؛
ورجاء الثواب الأخروي؛
وخوف الحساب؛
والحياء من نظر الله، وهو مقام المراقبة، وهو لقوله :

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً ﴾[1]

والشكر على نعمه بطاعته؛
والعلم لقوله : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[2]؛

وتعظيم جلال الله، وهو مقام الهيبة أو صدق المحبة فيه،
لقول القائل[3] :

تعصى الإلـه وأنت تظهر حبـه ❖ هذا محال لعمري في القياس بديع
لو كـان حبـك صـادقا لأطعتـه ❖ إن المحب لمن يحب مطيع

ولله در القائل أيضا[1] :

وقائلة قد سألت عن حال عاشقها ❖ لله صفـه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان رهن الموت من ظمإ ❖ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

---

[1] – سورة الأحزاب، الآية ٥٢.
[2] – سورة فاطر، الآية ٢٨.
[3] – قالها محمود الوراق أو منصور الفقيه، ذكرها ابن القيم الجوزية في كتابه **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**. ص.٢٦٦، طبعة دار الكتب العلمية (د.ت). وأوردها الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره **التحرير والتنوير** ج.١، ص.١٨٣، الدار التونسية للنشر.

الفصل الثالث : درجات التقوى [خمس]:

أن يتقي العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام؛
وأن يتقي المعاصي والمحرمات[2]، وهو مقام التوبة؛
وأن يتقي الشبهات، وهو مقام الورع؛
وأن يتقي المباحات، وهو مقام الزهد؛
وأن يتقي حضور غير الله عز وجل في قلبه، وهو مقام المشاهدة.

وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

- ينسبان لجارية حسب ما ورد في قاعدة في المحبة لابن تيمية.
- في التسهيل: الحرمات

باب الذكر

قال تعالى: "فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ"[1]، قال سعيد بن المسيب[2]: معناه "اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب، وقيل: اذكروني بالدعاء والتسبيح، ونحو ذلك. وقد أكثر المفسرون، لا سيما المتصوفة، في تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معان مخصوصة، ولا دليل على التخصيص. وبالجملة؛ هذه الآية بيان /14/ لشرف الذكر، وبيانها: قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم"[3].

والذكر ثلاثة أنواع: ذكر بالقلب، وباللسان، وبهما معا.

واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة، وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال كالصلاة وغيرها، فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى. والدليل على فضيلة الذكر ثلاثة أوجه:

الأول: النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال، قال

---

[1] - سورة البقرة، الآية ١٥٢.

[2] - سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الفقه والحديث والزهد والورع، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته، حتى سمي راوية عمر. توفي بالمدينة. انظر الأعلام٣/١٠٢.

[3] - أخرجه مسلم في كتاب الذكر والبخاري في كتاب التوحيد والترمذي في كتاب الدعوات والنسائي وابن ماجه.

صلى الله عليه وسلم: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة في سبيل الله وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؛ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: "ذكر الله".

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أي الأعمال أفضل]" ؟ قال: "ذكر الله". قيل له: الذكر أفضل أم الجهاد في سبيل الله؟ فقال: لو ضرب المجاهد بسيفه في الكافر حتى ينقطع سيفه ويختضب دما لكان الذاكر أفضل منه[١].

الثاني: أن الله تعالى حيثما ذكر الذكر وأمر بالذكر أثنى على الذاكرين.

اشترط فيه الكثرة، وقال: "اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً"[٢] ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال.

الثالث: أن في الذكر مزية هي له خاصية /15/ ليست لغيره وهي الحضور في الحضرة العلية والوصول إلى القرب الذي عبر عنه ما ورد من المجالسة والمعية، فإن الله تعالى يقول: "أنا جليس من ذكرني"، ويقول: "أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني".

١- رواه الترمذي في كتاب الدعاء. باب ماجاء في فضل الذكر ورواه ابن ماجه في الأدب، باب فضل الذكر.

٢- سورة الأحزاب. الآية ٤١.

وللناس في القصد بالذكر مقامان: فمقصود العامة اكتساب الأجور. ومقصد الخاصة القرب والحضور. وبين المقامين فرق بعيد. فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء الحجاب، وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحباب، هيهات.

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة، منها: التهليل، والتسبيح، والتكبير، والحمدلة، والحوقلة، والحسبلة، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى. والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. والاستغفار. وغير ذلك. ولكل ذكر خاصية وثمرة. وبالله التوفيق إلى منهج التحقيق. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

بـــاب مقام ثمرات الأذكار

فأما التهليل فثمرته التوحيد، أعني التوحيد الخاص. فإن التوحيد العام حاصل لكل مومن.

وأما التكبير فثمرته التعظيم وإجلال لذي الجلال.

وأما الحمدلة والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة كالرحمان والرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك. فثمرتها ثلاثة مقامات: وهي الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة. فإن المحسن محبوب /16/ لا محالة.

وأما الحوقلة والحسبلة. فثمرتها: توكل على الله. والتفويض إلى الله، والثقة بالله.

أما الأسماء التي معانيها الاطلاع والإدراك. كالعليم والسميع والبصير والرقيب وشبه ذلك. فثمرتها المراقبة.

وأما الصلاة على النبي صلى عليه وسلم. فثمرتها شدة المحبة فيه والمحافظة على اتباع سنته.

وأما الاستغفار. فثمرته الاستقامة على التقوى والمحافظة على شروط التوبة مع انكسار القلب بسبب الذنوب المتقدمة.

ثم إن ثمرات الذكر بجميع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد وهو قولنا: الله الله الله. فذلك هو الغاية وإليه المنتهى. فدونك أيها السالك. وبالله التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

بـــاب مقام الصبر

قال تعالى : "وَبَشّرِ الصَّابِرِينَ". ورد ذكـر الصـبر في القـرآن في[1] أكثر من سبعين موضعاً، وذلكَ لعظمة موقعه في الدين. قال جل العلماء: كل الحسنات لها أجـر محصور مـن عشـرة أمثالهـا إلى سبع مائة ضعف، إلا الصبر، فإنه لا يحصى أجره لقولـه تعـالى: "إنمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ"[2]. وذكر الله للصـابرين ثمانية من الكرامات:

أولها : المحبة، قال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[3]

والثاني: النصر، قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[4]

والثالث: غرفات الجنة، قال تعالى:

﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾[5]

---

[1] - في التسهيل : بعض.

[2] - سورة الزمر. الآية ١٠.

[3] - سورة آل عمران. الآية ١٤٦.

[4] - سورة البقرة. الاية ١٥٣.

[5] - سورة الفرقان. الآية ٧٥.

والرابع، الأجر الجزيل، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

والأربعة الأخرى المذكورة في هذه الآية، /17/ فمنها البشارة. وقال: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[1]، والصلاة والرحمة والهداية. قال: ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[2].

والصبر على أربعة أوجه: صبر على البلاء، وهو منع النفس على التسخط والهلع والجزع.

وصبر على النعم، وهو تقييدها بالشكر، وعدم الطغيان. والتكبر بها.

و صبر على الطاعة والمحافظة والدوام عليها.

وصبر على المعاصي، بكف النفس عنها.

وفوق الصبر التسليم، وهو ترك الاعتراض والتسخيط ظاهرا. وترك الكراهية باطنا.

وفوق التسليم الرضا بالقضاء، وهو سرور النفس بفعل الله، وهو صادر عن المحبة.

---

[1] – سورة البقرة، الآية ١٥٥.

[2] – سورة البقرة، الآية ١٥٧.

بـاب التوحيد

قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ ﴾١

حق الله الواحد [له] ثلاثة أوجه و معان كلها صحيحة في

قوله تعالى : "وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ"

[أحدها] : أنه لا ثاني له، فهو نفي العدد.

والآخر : أنه لا شريك له، ولا نظير.

والثالث : أنه لايتبعض ولا ينقسم.

وقد فسر المراد هنا في قوله: إله واحد لا إله إلا هو.

واعلم أن توحيد الحق لله تعالى على ثلاث درجات:

الأول: توحيد عامة المسلمين، وهو الذي يعصم النفس والمال في الدنيا، وينجي من الخلود في النار في الآخرة، وهو نفي الشركاء والأنداد والصاحبة والأولاد والأشباه والأضداد.

الثاني: توحيد الخاصة، وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله تعالى وحده ويشاهد /18/ ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال. فإن معرفة ذلك بطريق الاستدلال حاصل لكل مؤمن،

وإنما طريق الخاصة يصب في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله والتوكل عليه وحده واطراح جميع الخلق، فلا يرجو إلا الله ولا يخاف إلا منه. ولا يخاف أحدا سواه، إذ ليس يرى فاعلا إلا إياه، ويرى جميع الخلق في قبضة القهر، ليس بيدهم شيء من الأمر. فيطرح الأسباب وينبذ الأرباب.

الثالث : ألا يرى في الوجود إلا الله وحده فيغيب عن النظر إلى المخلوقات، حتى كأنها عنده معدومة، وهذا هو الذي يسميه الصوفية مقام الفناء، فمعنى الغيبة عن الخلق حتى كأنه يفنى عن نفسه، وعن توحيده : أي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله سبحانه. وبالله التوفيق في الطريق.

بـاب المحبة

في قوله تعالى :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾[1]

وكل ما تحبه من دون الله فهو رد. قال تعـالى : "وَلاَ يَـأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا المَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً"[2]، وقال تعالى : "مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤتِيَهُ اللَّهُ الكِتَابَ وَالحِكْمَـةَ وَالنُّبُـوَّةَ ثُـمَّ يَقُـولُ لِلنَّـاسِ كُونُـوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ"[3] الآية. اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين :

أحداهما، المحبة العامة الـتي لا يخلـو منهـا كـل مؤمـن. وهـي واجبة.

والأخرى المحبة الخاصة التي ينفرد بهـا العلمـاء الربـانيون. والأولياء والأصفياء، وهي أعلى المقامـات، وغايـة المطلوبـات. فـإن سائر مقامات الصـالحين : كـالخوف، والرجـاء والتوكـل. وغـير ذلك، هي مبنية على حظوظ النفس ؛ ألا تـرى أن الخائف إنمـا

---

[1] – سورة البقرة، الآية ١٦٤.

[2] – سورة آل عمران، الآية.

[3] – سورة آل عمران ،الآية ٧٩.

يخاف على نفسه، وأن الراجي إنما يرجو منفعة نفسه، بخلاف المحبة فإنما هي من أجل المحبوب، فليس من المعاوضة.

واعلم أن سبب محبة الله معرفته، فتقوى المحبة على قدر قوة المعرفة، وتضعف على قدر ضعف المعرفة. فإن الموجب للمحبة أحد أمرين، وكلاهما إذا اجتمعا، ولا شك أنهما اجتمعا في حق الله تعالى، على غاية الكمال. فالموجب الأول الحسن والجمال، والآخر : الإحسان والإجمال.

فأما الجمال فهو محبوب بالطبع، فإن الإنسان بالضرورة يحب كل ما يستحسن.

والإجمال مثل جمال الله تعالى في حكمته البالغة وصنائعه البديعة وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار، تروق العقل وتبهج[1] القلوب، وإنما يدرك جماله تعالى بالبصائر. لا بالأبصار، "قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ"[2].

وأما الإحسان فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وإحسان الله إلى عباده متواتر [و] إنعامه عليهم باطن وظاهر،

---

[1] - في التسهيل : تهيج.

[2] - سورة يوسف، الآية ١٠٨.

"وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا"[1]، ويكفيك /20/ أنه يحسن إلى المطيع والعاصي، [و] إلى المؤمن والكافر. والإحسان ينسب إلى غيره. فهو في الحقيقة منه وحده، فهو المستحق للمحبة وحده.

واعلم أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح. من الجد في الطاعة والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته والتلذذ بمناجاته والرضا بقضائه والصبر على بلائه والشوق إلى لقائه والأنس بذكره، والاستيحاش من غيره، والفرار من الناس، والانفراد في الخلوات، وخروج الدنيا من القلب ومحبة كل ما يحبه الله وكل من يحب الله، وإيثار الله على كل من سواه. قال الحارث المحاسبي: "المحبة تسليمك إلى المحبوب بكليتك ثم إيثارك [له] على نفسك وروحك ثم موافقته سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه"[2]. قوله "وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لِلَّهِ" وبالله التوفيق في سلك طريق التحقيق، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا به.

---

[1] – سورة ابراهيم، الآية ٣٤.

[2] – من أكابر الصوفية، كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مبكيا. له تصانيف في المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد (٢٤٣ هـ). من كلامه: "خيار هذه الأمة الذين لاتشغلهم آخرتهم عن دنياهم ولادنياهم عن آخرتهم". انظر **تهذيب التهذيب** ج.٢، ص.١٣٤. **صفة الصفوة** ج.٢، ص.٢٠٧.

باب التوكل

قوله تبارك وتعالى:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

المشاورة مأمور بها شرعا، فافهم. وإنما يشاور النبي صلى الله عليه وسلم الناس في الرأي في الحروب وغيرها. لا في الأحكام الشرعية. وقرأ ابن عباس "وشاورهم في بعض الأمور". قوله تعالى: "فإذا عزمت فتوكل على الله" هو الاعتماد على الله في تحصيل /21/ المنافع أو حفظها بعد حصولها وفي دفع المضرات وفي رفعها بعد وقوعها، وهو من أعلى المقامات لوجهين:

إذ أحدهما قوله : "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ".

والآخر الضمان، في قوله : "وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ"[2]، وقد يكون وجوبا لقوله : "وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ"[3]، فجعله شرطا في الإيمان.

وظاهر قوله : "وَعَلَى اللَّهِ، فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ". فإن الأمر محمول على الوجوب.

---

[1] - سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

[2] - سورة الطلاق، الآية ٣

[3] - سورة المائدة، الآية ٢٣

واعلم أن الناس في التوكل على ثلاث مراتب :

الأولى أن يعتمد العبد على ربه كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشك في نصيحته له وقيامه بمصالحه.

والثانية أن يكون العبد مع ربه كالميت بين يدي الغاسل. قد أسلم إليه نفسه بالكلية، وهذه الدرجة مبنية على التوحيد الخاص الذي تكلمنا عليه في قوله : "وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ"، فهي تقوى بقوته وتذهب بضعفه[1].

فإن قيل: هل يشترط في التوكل ترك الأسباب أم لا؟ فالجواب أن الأسباب على ثلاثة أقسام:

أحدهما سبب معلوم قطعا، فقد أجراه الله تعالى، فهذا لا يجوز تركه، كالأكل لدفع الجوع واللباس لدفع البرد.

والثاني بسبب مظنون : كالتجارة وطلب المعاش، وشبه ذلك، فهذا لا يقدم فعله في التوكل.

ثم فوق التوكل التفويض، وهو الاستسلام لأمر الله بالكلية، فإن المتوكل له مراد واختيار، وهو يطلب مراده بالاعتماد على ربه، وأما المفوض فليس له مراد و[لا][2] اختيار بل هو إسناد الاختيار، إلى الله، فهو أكمل أدبا مع الله. فافهم. والله الموفق للصواب، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وعليه اعتمادي.

---

[1] - في التسهيل : وتضعف.

[2] - هكذا في التسهيل.

بـاب المراقبة

قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَّاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1]

التوفيق. إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة، وهو مقام شريف. أصله علم وحال. ثم يثمر حالين.

أما العلم فهو معرفة العبد لأن الله مطلع عليه، ناظر إليه، يرى جميع أعماله ويسمع جميع أقواله، ويعلم كل ما يخطر على باله.

وأما الحال فهو ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ولا يغفل عنه.

ولا يكفي العلم دون هذه، فإذا حصل العلم والحال، كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين : الحياء من الله، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي والجد في الطاعات. وكانت ثمرتها عند المقربين : المشاهدة[2] التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال. إلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :

---

[1] - سورة النساء، الآية ١.

[2] - في التسهيل : الشهادة.

"الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه"[1]، أشار إلى الثمرة الثانية وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم، كمن يشاهد ملكا عظيما، فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة. وقوله: *فإن لم تكن تراه فإنه يراك*. أشار إلى الثمرة الأولى: إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقربين، فاعلم أنه يراك، فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين. فلما فسر الإحسان أول مرة بالمقام الأعلى، رأى أن كثيرا من الناس قد يعجزون عنه، فنزل عنه إلى المقام الآخر.

واعلم أن المراقبة لا تستقيم حتى "يتقدم قبلها المشارطة والمرابطة"[2]، ويتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة.

فأما المشارطة، فهي اشتراط العبد على نفسه التزام الطاعة وترك المعاصي.

وأما المرابطة فهي معاهدة العبد لربه على ذلك.

ثم بعد المشارطة و المرابطة في أول الأمر، تكون المراقبة إلى آخره، وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عاهد الله عليه حمد الله. وإن وجد نفسه قد حل عقد المشارطة، ونقض عهد المرابطة.

---

[1] – جزء من حديث اخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[2] – "ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون" قال: "والمرابطة في سبيل الله تنزل من الجهاد والقتال منزلة الاعتكاف في المساجد من الصلاة ... ولا شك أن المرابطة أشق من الاعتكاف. فإذا كان الاعتكاف مستحبا مندوبا إليه فالمرابطة مثله والله أعلم" شعب الإيمان ج.٤، ص.٣٩، ط.١/١٩١٠.

عاقب النفس عقابا يزجرها عن العودة إلى مثل ذلك، ثم عاد إلى المشارطة والمرابطة وحافظ على المراقبة ثم اختبر بالمحاسبة. فهكذا يكون إلى[1] أن يلقى الله تعالى. وبالله التوفيق. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فافهم.

---

1 - في التسهيل: حتى

باب

ما يتعلق أيضا بالمراقبة والإحسان والبذل فيما أعطي والإحسان بعد الإيمان والتقوى

قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1]

فيها تأويلان:

أحدهما، لما نزل تحريم الخمر، قال قوم من الصحابة رضي الله عنهم: كيف من مات منا وهو يشربها ؟ فنزلت الآية معلمة أنه لا جناح على من شربها قبل التحريم لأنه لم يعص الله بشربها حينئذ.

والآخر أن المعنى رفع الجناح على المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرام منها، وعلى هذا أخذها عمر رضي الله عنه. وهو طريق بعض الطوائف الصوفية، ممسكين عن الحرام وعن إطعام المسلمين الطعام. وقول عمر رضي الله عنه حين قال

---

[1] ـ سورة المائدة، الآية ٩٣.

لقدامة[1] : إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك. وكان قدامة قد شربها واحتج بهذه الآية على رفع الجناح عنه. فقال له عمر[2] رضي الله عنه : أخطأت التأويل.

قوله تبارك وتعالى: "إذا ما اتقوا وآمنوا" الآية: قيل كرر التقوى مبالغة. وقيل الرتبة الأولى في التقوى اتقاء الشرك. والثانية اتقاء المعاصي. والثالثة اتقاء ما لا بأس به حذرا مما به البأس. فافهم.

درجات التقوى الأولى لعامة المسلمين. الثانية للخواص والثالثة لخواص الخواص. فافهم.

وقال بعض المتصوفة في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: "وقيل الأولى في الآية للزمان الماضي. والثانية للحال. والثالثة للمستقبل".

قوله تبارك وتعالى "وأحسنوا". يحتمل أن يريد الإحسان إلى الناس. والإحسان في طاعته. وهو المراقبة. وهذا أرجح. وإليه أدرجت المتصوفة. وهذا أرجح لأنه درجة فوق التقوى. ولذلك

---

[1] - قدامة بن مظعون القرشي الجمحي. يكنى أبا عمرو كان أحد السابقين الأولين هاجر الهجرتين وشهد بدرا قال البخاري : له صحبة. وقال ابن السكن. أسلم قديما وكانت تحته صفية بنت الخطاب أخت عمر. انظر الإصابة في تمييز الصحابة. ج.٥. ص.٤٢٥-٤٢٦.

[2] - ثاني الخلفاء الراشدين أسلم في السنة السادسة من النبوة. عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب" سبب تسميته بالفاروق. قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل". مات شهيدا سنة ٢٣ هـ بعد أن طعنه لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة. الإصابة ج.٤. ص.٥٠٨.

ذكره في المرة الثالثة، ولذلك قالت الصوفية: المقامات ثلاثة: مقام الإسلام ثم مقام الإيمان ثم مقام الإحسان.

قوله: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ"[1] الآية. فافهم وفقنا الله وإياكم لما يحبه الله ورسوله. وبالله التوفيق.

---

[1] سورة النحل، الآية ٩

بـاب الخوف والرجاء

قوله تبارك وتعالى في سورة الأعراف :

﴿ وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1]

جمع الله الخوف والرجاء، وهو الطمع، ليكون العبد خائفا راجيا. قال تعالى: "يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ"[2]. فإن موجب الخوف معرفة سطوة الله وشدة عقابه، وموجب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه. قال تعالى : "نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ"[3]. من عرف فضل الله رجاه ومن عرف عدله خافه. وكذلك جاء في الأثر : "لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا"[4]. إلا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه الخوف ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات. وأن يغلب عليه الرجاء عند حضور الموت لقوله صلى عليه وسلم": لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى"[5].

اعلم أن الخوف على ثلاث درجات:

الأولى أن يكون ضعيفا يخطر على القلب ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر. فوجود هذا كالعدم.

---

[1] - سورة الأعراف. الآية ٥٦

[2] - سورة الإسراء. الآية ٥٧.

[3] - سورة الحجر. الآية ٤٩.

[4] - في التسهيل : الحديث.

[5] - رواه مسلم في كتاب الجنة باب الأمر الأمر بحسن الظن بالله تعالى.

الثاني أن يكون قويـا فيوقـظ العبـد مـن الغفلـة فيحملـه على الاستقامة.

الثالث أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس. وهذا لا يجوز. وخير الأمور أوسطها.

والناس في الخوف على ثلاثة مقامات:

- فخوف العامة من الذنوب؛
- وخوف الخاصة من الخاتمة؛
- وخوف خاصة الخاصة من السابقة؛ فإن الخاتمة مبنية عليها.

والرجاء على ثلاث درجات :

الأولى : رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعته، وبترك معصيته. فهذا هو الرجاء المحمود.

والثانية : الرجاء مع التفريط والعصيان، فهذا غرور.

والثالث : أن يقوى الرجاء حتى يبلغ إلى الأمـل[1]، فهـذا حرام.

---

[1] في التسهيل: الأمن.

باب التوبة

قوله تبارك وتعالى في سورة التحريم :

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1]

وقال : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[2]

وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً ﴾[3]

التوبة واجبة على كل مسلم مكلف بالغ ذكر أو أنثى، حر أو عبد، بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة. وفرائضها ثلاثة :

الندم على الذنب من حيث عصى به ذا الجلال، لا من حيث أضر ببدن أو مال.

والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان، والعزم ألا يعود إليه أبدا. ومهما قضى عليه بالعود أحدث عزما مجددا. وآدابها ثلاثة :

- الاعتراف بالذنب مقرونا بالانكسار؛
- والإكثار من التضرع والاستغفار؛
- والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات؛

---

١ - سورة النور، الآية ٣١.
٢ - سورة الحجرات، الأية ١١.
٣ - سورة التحريم، الأية ٨.

ومراتبها سبع :

- فتوبة الكفار من الكفر؛
- وتوبة المخلصين من الذنوب الكبائر؛
- وتوبة العدول من الصغائر؛
- وتوبة العابدين من الفترات؛
- وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات؛
- وتوبة أهل الورع من الشبهات؛
- وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات؛

والبواعث على التوبة سبعة :

- خوف العقاب؛
- ورجاء الثواب؛
- والخجل من الحساب؛
- ومحبة الحبيب؛
- ومراقبة الرقيب؛
- وتعظيم المقام؛
- وشكر الإنعام.

قوله : "لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَيٰ"[1] "إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَـنَ وَعَمِـلَ عَمَـلا صَالِحـا فَـأُولَئِكَ يُبَـدِّلُ اللهُ سَـيِّئَاتِهِمْ

[1] - سورة طه، الاية ٨٢.

حَسَنَاتٍ"[1] "قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ"[2].

ونسأله تعالى التوبة والـدوام عليهمـا إلى الممـات. وبـا لله التوفيـق.
وا لله حسبي ونعم الوكيل. والحول والقوة به.

[1] - سورة الفرقان. الآية ٧٠.
[2] - سورة الأنفال. الآية ٣٨.

بـاب الإخلاص

قوله تعالى في سورة البينة:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[1]

قال ابن جزي رحمه الله ورضي عنه آمين.

قوله تعالى "وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا" الآية: وما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله، وما أمروا في القرآن إلا بعبادة الله.

قوله تعالى: "مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ" استدل المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء. قوله تعالى: "مُخْلِصِينَ" يراد به التوحيد وترك الشرك وترك الرياء، وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال. وضد الإخلاص في التوحيد هو الشرك الجلي، وضد الإخلاص في الأعمال هو الشرك الخفي، وهو الرياء. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الرياء الشرك الأصغر"[2]. وقال عليه

[1] - سورة البينة، الآية ٥.

[2] - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أخوف ماأخاف عليكم الشرك الأصغر" قيل: وما الشرك الأصغر" قال: "الرياء". إن الله يقول يوم يجازي العباد بأعمالهم "اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءا أو خيرا" رواه الإمام أحمد وأورده البيهقي في شعب الإيمان، ج.٥، ص.٣٣٣.

الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه إنه تعالى يقول: «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك. فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشريكه"[1]. فهذا مما يحذر منه المتصوفة.
واعلم أن الأعمال على ثلاثة أنواع:

مأمورات ومنهيات ومباحات.

فأما *المأمورات* فالإخلاص فيها وهو عبارة عن خلوص النية لوجه الله بحيث لا يشوبها بنية[2] أخرى. فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول، وإن كانت النية لغير وجه الله من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك. فالعمل رياء محض مردود. وإن كانت النية مشتركة ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال.

وأما *المنهيات* فإن تركها دون نية خرج من عهدتها ولم يكن له أجر في تركها، وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج من عهدتها، مع الأجر.

وأما *المباحات* كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك فإن فعلها بغير نية لم يكن له فيها أجر، فإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر. فإن كان مباحا يمكن أن يصير قربة إذا قصد به وجه الله

---

[1] - وفي رواية: أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي عمله" رواه الإمام أحمد وأورده البيهقي في **شعب الإيمان**. ج٦. ص٣٢٩.

[2] - في الأصل: "لايشرك بها. وأثبت ما **بالتسهيل**".

مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام. وهو مذهب المتصوفة. *وبا لله التوفيق*.

قوله تبارك وتعالى: "حنفاء"، جمع حنيف، و "ذلك دين القيمة" أو الجماعة القيمة، والمعنى أن الذي أمروا به من عبادة الله والإخلاص له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام، فلأي شيء لا يدخلون في الإسلام.

وقال تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ﴾[1].

[1] – سورة آل عمران، الآية ١٩.

انتهى بحمد الله وحسن عونه. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين، وإمام المرسلين، والحمد لله رب العالمين. اللهم بجاه نبيك المصطفى، ورسولك المرتضى، وحبيبك المجتبى، اجعلنا يا مولانا من أهل الصفاء والوفاء، مع ملازمة إلى الممات، بمحض فضلك، يا أرحم الراحمين، ولأشياخنا وأحبتنا وذرياتنا. وانفعنا يا الله بما علمتنا، وانفع اللهم كل من اعتنى بهذا الكتاب وعمل به واعتقد ما فيه، واجعله اللهم خالصا لوجهك الكريم، بلا فخر ولا رياء ولا سمعة، يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين. فاقرأ الخاتمة

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

النهاية وبالله التوفيق.

[1] - سورة فصلت، الآية ٣٠.

فهـرس الموضوعـات[1]

القسم الأول : (دراسة)

- **أولا : - الحركة الصوفية بالأندلس خلال القرن الثامن الهجري** 15
  - *1 - الإشعاع الصوفي في الأندلس خلال القرن الثامن الهجري* 15
  - *2- الدور الجهادي والتربوي للزوايا والرباطات* 19
  - *3 - إسهام العلماء الأعلام في هذا الازدهار الصوفي* 22
- **ثانيا : التعريف بابن جزي** 26
  - *1- نسبه* 26
  - *2- مولده ونشأته* 27
  - *3- شيوخه* 28
  - *4- تلاميذه* 31
  - *5- آثاره العلمية* 34
  - *6- شعره* 36
  - *7- مكانته العلمية* 39
  - *8- عقيدته* 41
  - *9- وفاته* 42
- **ثالثا : توثيق الكتاب** 44
- **رابعا : وصف المخطوط** 46
- **خامسا : أصل المخطوط** 48
- **سادسا : منهج المؤلف في هذا الكتاب** 48

1 - ترمز أرقام الفهارس إلى أرقام الصفحات

القسم الثاني : (تحقيق)

- فاتحة الكتاب 55
- الكلام على البسملة 59
- مقام الحمد والشكر 61
- مقام التقوى 71
- باب الذكر 77
- باب مقام الصبر 81
- باب التوحيد 83
- باب المحبة 85
- باب التوكل 88
- باب المراقبة 90
- باب يتعلق بالمراقبة والإحسان والبذل فيما أعطي والإحسان بعد التقوى 93
- باب الخوف والرجاء 96
- باب التوبة 99
- باب الإخلاص 102
- خاتمة الكتاب 105

فهرس الآيات

❑ **سورة الفاتحة :**

- "الحمد لله رب العالمين" *الآية 2 الفاتحة 1*
- "ملك يوم الدين" *الآية 4 الفاتحة 1*

❑ **سورة البقرة :**

- "الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين" *الآية 2 البقرة 2*
- "فاذكروني أذكركم" *الآية 152 البقرة 2*
- "ان الله مع الصابرين" *الآية 153 البقرة 2*
- "وبشر الصابرين" *الآية 155 البقرة 2*
- "ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله" *الآية 65 البقرة 2*
- "والهكم إله واحد لا اله إلا هو الرحمان الرحيم" *الآية 163 البقرة 2*
- "أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون" *الآية 157 البقرة 2*

❑ **سورة آل عمران :**

- "الم الله" *الآية 1 آل عمران 3*
- "إن الدين عند الله الإسلام" *الآية 19 آل عمران 3*
- "ما كان لبشر أن يوتيه الله الكتاب والحكمة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله. ولكن كونوا ربانيين" *الآية 79 آل عمران 3*
- "ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيئين أربابا" *الآية 80 آل عمران 3*
- "واتقوا الله لعلكم تفلحون" *الآية 130 آل عمران 3*
- "وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين" *الآية 130 آل عمران 3*

سورة النساء :

- و"اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا" *الآية 1 النساء 4*

❑ **سورة المائدة :**

- "إنما يتقبل الله من المتقين" *الآية 27 المائدة 5*
- "قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا عن سواء السبيل" *الآية 77 المائدة 5*

- "ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا وأحسنوا والله يحب المحسنين" *الآية 93 المائدة 5*

- **سورة الإسراء :**
  - "يرجون رحمته ويخافون عذابه" *الآية 57 الإسراء 17*
- **سورة مريم :**
  - "ثم ننجي الذين اتقوا" *الآية 72 مريم 19*
- **سورة طه :**
  - "وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى" *الآية 82 طه 20*
- **سورة النور :**
  - "وتوبوا إلى الله جميعا أيها المومنون لعلكم تفلحون" *الآية 31 النور 24*
- **سورة الفرقان :**
  - "إلا من تاب وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات" *الآية 70 الفرقان 25*
  - "أولئك يجزون الغرفة بما صبروا" *الآية 75 الفرقان 25*
- **سورة الأحزاب :**
  - "اذكروا الله ذكرا كثيرا" *الآية 40 الأحزاب 33*
  - "وكان بالمومنين رحيما" *الآية 43 الأحزاب 33*
  - "وكان الله على كل شيء رقيبا" *الآية 52 الأحزاب 33*
- **سورة فاطر :**
  - وإنما يخشى الله من عباده العلماء" *الآية 28 فاطر 35*
- **سورة الزمر :**
  - "وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب" *الآية 10 الزمر 39*
- **سورة فصلت :**
  - "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا" *الآية 30 فصلت 41*
- **سورة الحجرات:**
  - "ومن لم يتب فأولئك" *الآية 11 الحجرات 49*
- **سورة الطلاق :**
  - "ومن يتق الله يجعل له مخرجا" *الآية 2 الطلاق 65*
  - "ويرزقه من حيث لا يحتسب" *الآية 3 الطلاق 65*
  - "ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا" *الآية 4 الطلاق 65*
  - "ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا" *الآية 4 الطلاق 65*

- **سورة الأعراف :**
  - "المص" *الآية 1 الأعراف 7*
  - "وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين" *الآية 56 الأعراف 7*

سورة الأنفال :
  - إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا" *الآية 29 الأنفال 8*
  - "قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف" *الآية 38 الأنفال 8*

- **سورة التوبة :**
  - "إن الله يحب المتقين" *الآية 7 التوبة 9*
- **سورة يونس :**
  - "وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين" *الآية 10 يونس 10*
  - "لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة" *الآية 64 يونس 10*
- **سورة هود :**
  - "باسم الله مجراها" *الآية 41 هود 11*
- **سورة يوسف :**
  - "قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين" *الآية 108 يوسف 12*
- **سورة الرعد :**
  - "المر" *الآية 1 الرعد 13*
- **سورة إبراهيم :**
  - "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها" *الآية 34 إبراهيم 14*
- **سورة الحجر :**
  - الر" *الآية 1 الحجر 15*
  - "أنبأ عبادي أنني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم" *الآية 41 الحجر 15*
- **سورة النحل :**
  - "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" *الآية 90 النحل 16*
  - "إن الله مع الذين اتقوا" *الآية 128 النحل 16*
- **سورة التحريم :**
  - "يأأيها الذين آمنوا إلى الله توبة نصوحا" *الآية 8 التحريم 66*

- **سورة القلم :**
  - "إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم" *الآية 34 القلم 68*
- **سورة النبأ :**
  - "إن للمتقين مفازا" *الآية 30 النبأ 78*
- **سورة البينة :**
  - "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة وذلك دين القيمة" *الآية 5 البينة 98*
- **سورة الجاثية :**
  - "الله ولي المتقين" *الآية 19 الجاثية 45*

فهرس الأحاديث النبوية

- "أي الأعمال أفضل؟ قال : ذكر الله، قيل له الذكر أفضل أم الجهاد " 78
- "أفضل ما قلته أنا والنبيئون من قبلي " 64
- "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه..." 91
- "التحدث بالنعمة شكر" 62
- "الرحمان رحمان الآخرة والدنيا والرحيم رحيم الآخرة" 60
- "الرياء. الشرك الأصغر" 102
- "أنا أغنى الأغنياء عن الشرك" 103
- "أنا جليس من ذكرني..." 78
- "أنا عند ظن عبدي بي. وأنا معه إذا ذكرني..." 77 - 78
- "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى" 96

فهرس المصطلحات الصوفية

- الإخلاص : 49. 58. 102. 103. 104
- التوبة : 49. 52. 58. 76. 80. 99. 100. 101
- التوحيد : 22. 49. 58. 63. 79. 83. 89. 102
- التوكل : 49. 58. 84. 85. 88. 89
- الحضرة : 78
- الحيرة : 59
- الخوف : 79. 58. 85. 96. 97
- الذكر : 49. 55. 57. 77. 78. 79. 80
- الرجاء : 49. 58. 79. 85. 96. 97. 98
- رياضة : 48. 56
- الصبر : 49. 57. 81. 82. 87
- المحبة : 49. 50. 72. 75. 79. 80. 81. 82. 85. 86. 87
- المراقبة : 49. 58. 75. 80. 90. 91. 92. 93. 94
- المشاهدة : 52. 76. 90. 91. 100
- المقام : 22. 49. 66. 79. 85. 88. 91. 95. 100
- المكاشفة : 83
- النور : 36. 56. 58

manuscrit révèlent des ressemblance avec certains chapitres d'un autre livre de Ibn Djuzay : Le Tashil, et spécialement en ce qui concerne les interprétations allusives des soufis ; c'est ce qui nous a permis d'établir une comparaison entre les deux textes. Notre travail porte aussi sur une vérification des références du texte, versets coraniques, hadiths et sources littéraires. Une serié d'index portant sur les citations tirés de ces sources et sur la términologie facilite la lecture du texte.

BIOGRAPHIE D'IBN DJUZAY

Ibn Djuzay est un célèbre savant de Grenade , il est mort en 741 de l'Hégire (1340). Il était versé dans toutes les sciences religieuses. Juriste à l'école Malikite, il était un transmetteur connu des paroles prophétiques (hadith), mais aussi un spécialiste de la branche dite des Usul-al-fiqh (Racines de la jurisprudence), un récitateur du Coran, un théologien, un homme de lettres, un grammairien, un philologue. Il a écrit de nombreux ouvrages couvrant tous ces domaines. Parmi ces ouvrages : al qawanin al-fikhiya fi talkhis madhhab al malikya" (régle juridiques musulmanes dans la synthèse de la doctrine malikite) et "al tashil li ulum at-tawsil" (Facilités pour les sciences de la révélation).

Il fut à l'écoute de nombreux savants :

- Abu Djaafar Ahmed Ibn Ibrahim Ibn Zuhayr al-Gharnati,
- Abu al Qasim Ibn Abdullah Ibn Muhammad Ibn Chatt,
- Abu Abdullah Muhammad Ibn Ahmed al-Lakhmi, connu sous le nom d'"Ibn al-Kammad"
- Abu Abdullah Muhammad Ibn `Amr al-Fihri al-Sabti.

D'autres personnes ont pris la science de lui, parmi lesquelles :

- Lisan-Al-din Abu Abdullah Muhammad Ibn Abdullah al-Salmani al-Gharnati, nommé: "Ibn al Khatib " et ses fils.
- Abu Muhammad Abdullah Ibn Muhammad Ibn Ahmad Ibn Muhammad Ibn Djuzay.
- Abu Bakr Ahmad Ibn abi al-Qasim Ibn Djuzay,
- Abu Abdullah Muhammad Ibn Muhammad Ibn Ahmad Ibn Djuzay.

Le travail que nous présentons ici, est l'édition critique d'un manuscrit qui nous est arrivé en copie unique. Cette copie se trouve à la bibliothèque Nasiriya de Tamgrout. Quelques passages de ce

- L'acceptation des actes ,
- Le succès ,
- La bonne nouvelle,
- L'entrée dans le Paradis,
- La protection du feu,
- La réussite.

Dans le second chapitre il a parlé des incitations à la piété qui sont au nombre de dix et parmi lesquelle figurent :

- La crainte du destin (fin) dans ce monde,
- L' espérance de la récompense en ce monde,
- La crainte du destin dans l'autre monde.
- L' espérance de la récompense dans l'autre monde

Dans le troisième chapitre, il a parlé des degrés de la péité qui sont au nombre de cinq:

- Station de l'Islam
- Station du repentir,
- Station du scrupule,
- Station du renoncement,
- Station de la contemplation.

Puis , il a abordé les autres stations qui ont été citées précédemment dans l'introduction.

Il s'est engagé à traiter ces sujets selon la méthode qu'il a définie au début de son livre : " il a accepté ce qui est bon et compatible avec la loi et il a écarté ce qui est blâmable.

Dans ce style clair et précis et loin des ambiguïtés, il a affirmé l'authenticité des stations du soufisme auxquelles le Coran lui -même fait allusion ainsi que la *sunnah*".

Ibn Djuzay n'accepte pas l'interprétation abusive. Il se limite au choix de quelques allusions opportunes et il rejette les interprétations ésotériques qui sont éloignées des expériences gustatives du soufisme.

Il a parlé de douze stations parmi les stations soufies qui sont toutes inspirées du Coran.

1-Station de la reconnaissance et de la louange,
2-Station de la piété ;
3-Station de la mention ;
4-Station de la patience ;
5-Station de l'unité divine ;
6-Station de l'amour ;
7-Statiion de la confiance (ou du renoncement) ;
8-Station de la vigilance ;
9-Station de la crainte ;
10-Station de l'espérance ;
11-Statiion du repentir ;
12-Statiion de la pureté(sincérité).

Il a d'abord parlé de ces stations par la mention des spécificités linguistiques, juridiques et intelligibles de la *Basmala* et a poursuivi par la mention de la reconnaissance et de la louange à travers la Sourate al-*fatiha*. Il a commenté ses secrets en analysant les significations ésotériques et initiatiques en se référant à la tradition prophétique et aux paroles des soufis.

Il a abordé dans le premier chapitre les vertus de la piété selon le Coran, ces vertus sont au nombre de quinze :

- La guidance,
- Le secours,
- La sainteté ,
- L'amour ,
- La connaissance,
- La délivrance,
- La subsistance,
- La facilité,
- Le pardon,

Présentation

Le soufisme est la science de la connaissance de Dieu. Ses principes et ses méthodes découlent du Coran et en particulier de l'insistance sur l'invocation et la purification du cœur, comme moyen pour entrer dans la lumière divine, et réaliser l'unité dans la sainte présence divine.

Le soufisme correspond au degré de la perfection du comportement que l'on appelle (*al ihsan*) ou d'une autre manière, la station de la contemplation divine et de la rencontre de Dieu. Cette rencontre a un lieu qui est le cœur. Selon une sainte parole prophétique: "ni mes cieux ni ma terre ne peuvent me contenir, seul le cœur de mon serviteur pieux et pur peut me contenir". D'où la nécessité de la purification qui , par étapes, conduit à la sincérité spirituelle, (*ikhlas*) qui est le secret de la connaissance des choses dans leur essence. Ceux qui ont cette connaissance sont qualifiés dans le Coran :"les possesseurs de la pulpe(moelle)"(*uli-al-albab*), c'est-à-dire ceux auxquels Dieu révèle ses secrets et ses lumières.

Techniquement, le soufisme suppose une initiation dans le modèle historique qui se situe lors du pacte de (*hudaybiya*) par lequel le disciple reçoit une autorisation pour suivre la voie spirituelle, mais il suppose aussi une adhésion et une pratique des rites extérieurs de l'Islam .

L'auteur du livre que nous présentons est seulement connu comme un savant dans le domaine de la jurisprudence (*Fiqh*) et dans ses fondements, (*usul*), cependant il est aussi un connaissant, ce dont témoigne son livre : " la purification des cœur dans la voie du connaissant des Secrets".

Ibn Djuzay insiste dans sa préface sur le lien évident du tassawuff avec le Coran, dans toutes ses significations, ses stations, ses buts et ses fruits. Il dit : " Le soufisme s'appuie sur le Coran qui englobe la connaissance divine , le dépouillement des âmes, l'illumination des cœurs et la purification par l'acquisition des caractères nobles et l'effacement des caractères vils".

Imprimerie Najah El Jadida - Casablanca
Imprimé au Maroc
1ér Edition
1998

D.L 1998/836 **ISBN 9981.1951.03**

Ibn Djuzay

Taṣfiyat al-qulûb fî-l-wuṣûl ilâ ḥaḍrat ʻAllâm al-ghuyûb

la purification des cœurs dans la voie du Connaissant des secrets

Etude et édition et critique

Mounir El Kadiri Boutchich

Lauréat de Dar al Hadith al Hassania

Préface

Ahmed Toufiq